

مشديات الإمام الآجری

تفسیر تہذیبی القرآن

فرغہ واعثنی بہ :

أبو ابراهيم رضوان بن محمد آل اسماعيل

دُرُوسُ لَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

محمد سعيد رسلان

مشديات الإمام الآجری

تفسیر تہذیبی القرآن

فرغہ واعثنی بہ :

أبو ابراهيم ضوان بن محمد آل اسماعيل

دُرس لفضيلة الشيخ

محمد سعيد رسلان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد ..

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُبَيِّنًا أَثَرَ الْبَيْتَةِ وَالْمُجْتَمَعِ عَلَى عَقِيدَةِ الْإِنْسَانِ وَفِكْرِهِ وَتَوَجُّهَاتِهِ فِي أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، مُبَيِّنًا أَهَمِّيَّةَ صَلاَحِ الْأَسَاسِ وَسَلَامَتِهِ لِيُثْمَرَ بَعْدُ بِنَاءً مُسْتَقِيمًا صَالِحًا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْهُ رَاوِي الْإِسْلَامِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : ﴿ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ﴾ ^(١) .

(فَنُقْطَةُ الْإِنْطِلَاقِ هِيَ أَهْمُ شَيْءٍ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ ، فَإِذَا تَصَوَّرْنَا - مَثَلًا - أَنَّ كَافِرًا أَسْلَمَ ، فَقُيِّضَ لَهُ رَافِضِيٌّ فَعَرَفَ الْإِسْلَامَ مِنْ خِلَالِهِ ، فَإِنَّا نَجِدُهُ بَعْدَ حِينٍ قَصِيرٍ يَتَعَبَّدُ بِسَبِّ الصَّحَابَةِ وَتَكْفِيرِهِمْ ، وَلَا يَعْرِفُ الْإِسْلَامَ سِوَى مَا عَرَفَ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النُّقْطَةَ الْأَسَاسَ وَلِأَنَّ نُقْطَةَ الْإِنْطِلَاقِ لَمْ تَكُنْ مُوَفِّقَةً . وَكَذَلِكَ كُلُّ مُتَعَبِّدٍ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ مُتَعَبِّدًا بِجَهْلٍ ، فَإِنَّهُ يُؤْذِي نَفْسَهُ وَلَا يَزِدَادُ - بِالْاجْتِهَادِ فِي بِدْعَتِهِ - عَنِ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا) .

(وَقَدْ يُقَيِّضُ لِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ إِخْوَانِيٌّ ، فَلَا يَعْرِفُ الدِّينَ إِلَّا عَنْ طَرِيقِهِ ، وَيَلْتَزِمُ بِمَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ يَعُدُّ كُلَّ مَا وَرَاءَ مَا يَعْرِفُهُ عَنْ طَرِيقِهِ مِنَ الْخَطَأِ الْمَحْضِ) .

(١) رواه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨) .

(فإذا أراد الإنسان النّجاة فإنّه ينبغي عليه أن يجتهد في معرفة الدّين الذي جاء به محمّد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ؛ يعرف الأصول التي هي أصول دين الإسلام العظيم ، يعرف ما لا يكون المسلم مسلماً إلّا به ، يعرف التّوحيد في جملته ، ويتبرّؤ من الشّرك في جملته وفي تفاصيله ، ويعرف ما ينبغي أن يعرفه من أمور العبادة علماً مُحكّماً غير مفصّل ، ولكنه مُنضبطٌ في النّهاية على حُدود الكتاب والسّنة) .

وهذه مُحاضرة قيّمة للشيخ محمّد بن سعيد رسلان حفظه الله تعالى يُبيّن فيها أهميّة الالتفات إلى نقطة البداية وتصحّيحها ، مع تحرير الغاية والقصد ، وخطورة الإخفاق في نقطة الانطلاق الذي يُؤدّي إلى الوقوع في مزالق الانحراف والضلال ، ثمّ لا سبيل إلى الخروج منه إلّا بالرجوع إلى سبيل الحقّ الذي هو اتّباع القرآن والسّنة بفهم السّلف الصّالح ، وإلّا فإنّ الخطّ مُتدّ على استقامته .

وهذه المقدمة المهمّة جعلها الشيخ تمهيداً للموضوع المهمّ الذي تحدّث عنه في هذه المحاضرة ^(١) ، فيقول حفظه الله تعالى بعد تلك المقدّمة :

فعلى كلّ مسلم من شيخ وشابّ أن يُحرّر قصده ، وأن يلتفت إلى الوسيلة التي يتوسّل بها للوصول إلى غايته ؛ لأنّ هنالك خطأ شائعاً هو أشنع وأفظع وأخطر خطأ أصيبت به مسيرة الإسلام في العصور الحاضرة ، وهو تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً .

ثمّ بيّن حفظه الله تعالى معنى هذا التّفسير المنحرف ومن قال به أولاً ومن انحرف بانحراف قائله ثانياً ، وما تبعه من نتائج خطيرة وعواقب وخيمة على المجتمعات الإسلاميّة ، فقال حفظه الله تعالى :

تَبَج عنه قيام حركات دينيّة سياسيّة متطرّفة ، تعمل ضدّ الأنظمة السياسيّة القائمة ، إسلاميّة كانت أو غير إسلاميّة ، بدعوى إقامة الحكومة الإلهيّة ، ووصل الأمر إلى الخطورة القصوى ، إذ إنّ

(١) هذه المحاضرة بعنوان : التفسير السياسي للإسلام ، ألفها الشيخ حفظه الله تعالى يوم الثلاثاء ١٨ رمضان ١٤٣٠ هـ وهي المحاضرة الرابعة عشرة ضمن الملف الخاصّ بسيد قطب ، وما بين قوسين (...) مُقتبس من كلام الشيخ حفظه الله تعالى في هذه المحاضرة .

الشباب المسلم في الوطن العربي وفي خارجِه بدأ يتأثر بهذه التفسيرات السياسية المتطرفة ، فيؤدي دور المواجهة السياسية ليتحطم على صخرتها من دون فائدة ، متوهماً أنه قد أدى دور الجهاد في سبيل الله . ثم ختم الشيخ حفظه الله تعالى المحاضرة بتوجيه رسالة إلى كل مسلم وقع في الانحراف لإخفاقه في نقطة الانطلاق ، فيوصيه بالرجوع إلى الدين الصحيح ، وعرض ما هو عليه من الأفكار والآراء على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة .

وبتوفيق من الله تعالى قمت بتفريغ هذه المحاضرة ، وسرت في ذلك على الآتي :

✽ قسّمت المحاضرة إلى فقرات ، وجعلت لكل فقرة عنواناً مناسباً .

✽ قمت كذلك بتشكيل الكلمات وضبطها ، حتى يتمكن القارئ من قراءتها بشكل صحيح .

✽ علّقت على مواضع من المحاضرة ؛ لبيان معنى كلمة ، أو لتوثيق عبارة ، أو لذكر فائدة ، وما أشبه .

وقبل أن أختتم أحب أن أشكر القائمين على موقع الشيخ محمد سعيد رسلان على ما بذلوه من جهد في نشر العلم الصحيح القائم على الكتاب والسنة ، فجزاهم الله خيراً ، وكذلك أشكر كل من ساعدني في هذا العمل ، وأسأل الله تعالى أن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم ، والحمد لله رب العالمين .

قَيِّدُهُ بِقَلَمِهِ

أَبُو بَرَكَةَ

رضوان بن محمد آل إسماعيل

عجمان - الإمارات العربية المتحدة

✽ رابط موقع الشيخ محمد سعيد رسلان حفظه الله تعالى : www.rslan.com

التفسير السباسي للإسلام

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ
اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . أَمَّا بَعْدُ .

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ
مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ . أَمَّا بَعْدُ ^(١) .
فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ : (مَنْ الْكَامِلِ)

سَارَتْ مُشْرِقَةً وَسِرَتْ مُغْرَبًا شَتَّانَ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبٍ

وَالْبَيْتُ يَدُلُّ عَلَى عُمُقِ الْإِنْفِصَالِ بَيْنَ الْوَسَائِلِ وَالْغَايَاتِ وَبَيْنَ الْمَقَاصِدِ وَالْآلَاتِ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ
يُحَرِّزْ قَصْدَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ يَتَنَكَّبُ سَبِيلَهُ ، وَقَدْ يَكُونُ عَامِلًا عَلَى ضِدِّ غَايَتِهِ ، وَمُحْصِلًا لِكُلِّ مَا يُوْذِيهِ مِنْ حَيْثُ
يَظُنُّ أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصِلُ مَا يُسَعِدُهُ وَيُنْجِيهِ .

(١) هذا جزء من خطبة رواها مسلم في صحيحه (٨٦٧) ، وابن ماجه في سننه (٤٥) ، يُسميها العلماء (خطبة الحاجة) ، ومن السنة ابتداء
الخطبة بها ، سواء كانت خطبة جمعة أو عيد أو نكاح ، أو درس أو محاضرة ، انظر : السلسلة الصحيحة (٢٨ / ١) .

**** أهمية نقطة الانطلاق .. وتحرير القصد والغاية ****

وإذا تصوّرنا أنّ كافرًا أسلمَ ، فقيّضَ له رافضيٌّ فَعَرَفَ الإسلامَ مِن خلالِهِ ، فإنّنا نجدُهُ بعدَ حينٍ قصيرٍ يتعبّدُ بسبِّ الصّحابةِ وتكفيرِهِم ، ويتقرّبُ إلى الله - بزعمِهِ - بالوُقوعِ والوُلُوعِ في عِرْضِ المُبرّاةِ الحَصانِ الرّزانِ عائِشةَ رضيَ اللهُ تباركَ وتعالى عنها ، ولا يَعْرِفُ الإسلامَ سوى ما عَرَفَ ؛ وذلك لأنّ النّقطةَ الأساسَ ولأنّ نُقطةَ الانطلاقِ لم تكنْ مُوفّقةً . وكذلك كلُّ مُتعبّدٍ لله تباركَ وتعالى إذا كان مُتعبّدًا بجهلٍ ، فإنّه يُؤذِي نفسه ولا يزدادُ بالاجتهادِ في بدعته عن الله إلّا بُعدًا .

وعليه فلا بُدَّ من تحريرِ الغايةِ ، ولا بُدَّ من تحريرِ الوسيلةِ إلى تلكَ الغايةِ ، ولا بُدَّ من ضبطِ النسبةِ بينِ الوسيلةِ والغايةِ ؛ لأنّ الذي شرّعَ الغايةَ هو الذي شرّعَ الوسيلةَ ، واللهُ تباركَ وتعالى لم يجعلْ شفاءَ أُمّةٍ محمّدٍ صلّى اللهُ عليه وعلى آله وسلّمَ فيما حرّمَ عليها ^(١) .

فإذا أرادَ الإنسانُ النّجاةَ فإنّه ينبغي عليه أنْ يجتهدَ في معرفةِ الدّينِ الذي جاءَ به محمّدٌ صلّى اللهُ عليه وعلى آله وسلّمَ ؛ لأنّ المجتمعَ لا يدفعُ في الحقيقةِ إلى الالتزامِ بِدينِ الرّبِّ تباركَ وتعالى كما جاءَ به الرّسولُ الكريمُ صلّى اللهُ عليه وعلى آله وسلّمَ ، وإنّما هي اجتهاداتُ هاهنا وهُنالك ، مِن أناسٍ بَعُدُوا عَن دينِ الله تباركَ وتعالى مَرَحَلَةً مِن أعمارِهِم ، ثمَّ جاءَ اللهُ تباركَ وتعالى بالهدايةِ إلى قُلُوبِهِم فأرادوا أنْ يَعْرِفُوا دينَ الله تباركَ وتعالى ، فأحيانًا يُقيّضُ للواحدِ مِنْهُمْ إخوانيٌّ ، فلا يَعْرِفُ الدّينَ إلّا عَن طريقِهِ ، ويلتزمُ بما يُمليهِ عليه ، بحيثُ إنّهُ يَعُدُّ كلَّ ما وراءَ ما يَعْرِفُهُ عَن طريقِهِ مِنَ الخطأِ المحضِ .

(١) وَرَدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : اشْتَكَّتْ ابْنَةُ لِي فَنَبَذْتُ لَهَا فِي كُوزٍ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَغْلِي ، فَقَالَ : (مَا هَذَا ؟) فَقَالَتْ : إِنَّ ابْنَتِي اشْتَكَّتْ ، فَنَبَذْنَا لَهَا هَذَا . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِي حَرَامٍ) . أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (١٣٩١) .

وذكره البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا .

وقَدْ يُقَيِّضُ لَهُ قُطْبِيٌّ ، وَقَدْ يُقَيِّضُ لَهُ قَبْرِيٌّ ، وَقَدْ يُقَيِّضُ لَهُ رَافِضِيٌّ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّحْلِ
الْفَاسِدَةِ ، وَالْمَلَلِ الْمَعْوَجَّةِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

**** حركة الجماعة الإسلامية وما خلفته من آثار ****

وقديماً وفي مُنتَصَفِ السَّبْعِينِيَّاتِ تَشَكَّلَتِ الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ^(١) تُكْفِّرُ النَّاسَ وَتَسْتَحِلُّ الدِّمَاءَ ، وَتَخْرُجُ
عَلَى وُلاَةِ الْأَمْرِ ، وَتَصْنَعُ مَا هُوَ مَعْلُومٌ لِكُلِّ مَنْ كَانَ مُعَاصِراً ، وَلَمَنْ أَتَى بَعْدُ ، وَكَانُوا شَبَاباً جُهَّالاً ،
لَا يَعْرِفُونَ فِي الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ كَثِيراً وَلَا قَلِيلاً ، وَإِنَّمَا هِيَ عَاطِفَةٌ مَشْؤُومَةٌ ، تَرْبُوا عَلَى فِكْرِ الْخَوَارِجِ ، يُثِيرُونَ
الْعَوَاطِفَ ، وَيُلْهِبُونَ الْحِمَاسَةَ ، فَتَشَكَّلَتِ تِلْكَ التَّشْكِيلَاتُ ، وَلَحِقَ بِهَا مَنْ لَحِقَ بِهَا مِنْ تَنْظِيمِ الْجِهَادِ ، مَعَ
مَا كَانَ قَبْلُ مِمَّا عُرِفَ إِعْلَامِيّاً بِالتَّكْفِيرِ وَالْهِجْرَةِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْفِرَقِ الْخَارِجِيَّةِ ، كُلُّهُمْ يُكْفِّرُونَ

(١) نَشَأَتِ الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْجَامِعَاتِ الْمِصْرِيَّةِ فِي أَوَائِلِ السَّبْعِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي عَلَى شَكْلِ جَمْعِيَّاتٍ دِينِيَّةٍ لِتَقْوَمَ بِبَعْضِ الْأَنْشِطَةِ
الثَّقَافِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي مُحِيطِ الطُّلَّابِ ، وَنَمَتِ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ دَاخِلَ الْكَلِّيَّاتِ الْجَامِعِيَّةِ ، وَاتَّسَعَتْ قَاعِدَتُهَا ، فَاجْتَمَعَ بَعْضُ الْقَائِمِينَ عَلَى هَذَا
النَّشَاطِ ، وَاتَّخَذُوا لِنَفْسِهِمْ اسْمَ : (الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ) وَوَضَعُوا لَهَا بِنَاءً تَنْظِيمِيّاً يَبْدَأُ مِنْ دَاخِلِ كُلِّ كَلِيَّةٍ بِمَجْلِسٍ لِلشُّورَى عَلَى رَأْسِهِ (أَمِيرٌ)
وَيَنْتَهِي بِمَجْلِسٍ لِلشُّورَى الْجَامِعَاتِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ (الْأَمِيرُ الْعَامُّ) أَوْ (أَمِيرُ أُمَرَاءِ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ) .

كَانَ تَأْسِيسُ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ عَلَى يَدِ زَعِيمِهَا الدُّكْتُورِ نَاجِحِ إِبْرَاهِيمَ ، وَمِنْ أَبْرَزِ أَعْضَائِهَا : أَمِيرُ الْجَمَاعَةِ عَمْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعُضْوُ مَجْلِسِ شُورَى
الْجَمَاعَةِ كَرَمُ زُهْدِي ، وَمُحَمَّدُ الْحَكَايِمَةُ ، وَخَالِدُ الْإِسْلَامَبُولِي ، وَعُبُودُ الزَّمَرِ .

وَهِيَ تَدْعُو إِلَى الْجِهَادِ لِإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَمَا تَرَاهَا ، وَإِعَادَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ - كَمَا يَقُولُونَ - ثُمَّ الْإِنْطِلَاقَ لِإِعَادَةِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
مِنْ جَدِيدٍ ، عَنْ طَرِيقِ الْقِتَالِ ضِدَّ رَمُوزِ السُّلْطَةِ وَقُوَّاتِ الْأَمْنِ .

وَكَانَ لِلْجَمَاعَةِ الْعَدِيدُ مِنَ الْمَوَاقِفِ السِّيَاسِيَّةِ ، مِنْ أَبْرَزِهَا : مَوْقِفُهَا مِنْ مُعَاهَدَةِ (كَامْبِ دِيفِيد) وَمِنْ زِيَارَةِ الشَّاهِ ، وَبَعْضِ وُزَرَاءِ إِسْرَائِيلَ
لِمِصْرَ ، فَأَقَامَتْ فِي كُلِّ ذَلِكَ الْمُؤْتَمَرَاتِ وَالْمَسِيرَاتِ وَوَزَعَتْ الْمُنَشُورَاتِ خَارِجَ أَسْوَارِ الْجَامِعَةِ لِلتَّنْذِيرِ بِذَلِكَ ، وَالْمُطَالَبَةِ بِتَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ مِمَّا أَدَّى إِلَى تَدَخُّلِ الْحُكُومَةِ آنَذَاكَ فِي سِيَاسَاتِ الْإِتِّحَادَاتِ الطَّلَابِيَّةِ ، فَأَصْدَرَتْ لَائِحَةً لِاتِّحَادَاتِ الطُّلَّابِ تُعَرِّفُ بِلَائِحَةِ ١٩٧٩
الَّتِي قَيَّدَتْ الْحَرَكَةَ الطَّلَابِيَّةَ ، وَازْدَادَ الضَّغْطُ الْإِعْلَامِيُّ وَالْأَمْنِيُّ عَلَى قِيَادَاتِ الْجَمَاعَةِ .

الناس ، وَيَسْتَحِلُّونَ الدِّمَاءَ ، وَيَسْتَحِلُّونَ الثَّرَوَاتِ وَالْأَمْوَالَ ، والخروج على الحكّام ، وإشاعة الفوضى في البلاد ، إلى غير ذلك مما هو معلوم من قواعد الخوارج .

ثم مرّت الأيام بعدما أحدثت الجماعة الإسلامية ما أحدثت من الخراب في الأرض ، ومن الفساد في البلاد والعباد ، ومما أدّى الصّدام معها ومع غيرها من تلك الفرق الخارجيّة إلى تجفيف منابع الدّعوة الإسلاميّة ، وجعل القوى الإعلاميّة منصّبة بجميع قواها وقدراتها لحرب دين الله تبارك وتعالى ، وما وقع من تبّع كلّ ظاهرة إسلاميّة مما أدّى إلى جعل الأمن أمنًا سياسيًا ، فلم يلتفت إلى ما هنالك من الأخلاق ، ومما يتعلّق برعاية الأموات ؛ فعمّ الفساد ، وظهرت الرّشوة في جميع الأصقاع ، وانتشرت الرّذيلة ، وكلّ ذلك بسبب هؤلاء الذين أحدثوا ذلك الصّدام ، وتكسّرت قروئهم وهم يخطون في تلك الصّخرة ، ثم شوّوها صورة الإسلام في الداخل والخارج ، وكلّ ذلك بسبب أنّهم لم يُحسنوا البدء ولم يعرفوا نقطة الانطلاق ، ولم يسيروا خلف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم .

ومرّت الأيام وكثرت الأعوام ، ثم أخذوا بما عرّف بعد المراجعات ، وقالوا : (كُنَّا مُخْطِئِينَ ، آسفون ، كنا مخطئين) !! والدّماء التي أريقَت ، والأنفس التي أزهقت ، والأموال التي نُهبَت ، والذين أُخذوا بغير جريمة ولا ذنب ، والدين الذي ضيّق عليه ؟!

(آسفون ، كُنَّا مُخْطِئِينَ) فلماذا تكلمتم في الدين ؟! وأنتم جهلاء أغراؤ ، ليس لكم أن تُنظروا ولا أن تُوصّلوا ، ولا أن تتعاملوا مع النّوازل التي تنزل بالأمة ، وكلّ ذلك لا يستطيعه إلا الذين يستنبطونه من الكتاب ومما جاء به النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم .

= كما قامت الجماعة باسم الإسلام بكثير من عمليّات الإغتيال ومهاجمة المراكز الأمنيّة ، وغير ذلك من الأعمال التخريبية التي كان وبّالها على رأس الجماعة أوّلًا ، مع ما كان لها من تأثير على المجتمع مما ذكره الشّيخ حفظه الله تعالى .

**** أشنع خطأ أصيبت به مسيرة الإسلام في العصر الحاضر ****

فعلى كل مسلم من شيخ وشاب أن يُحرّر قصده ، وأن يلتفت إلى الوسيلة التي يتوسّل بها للوصول إلى غايته ؛ لأنّ هنالك خطأ شائعاً هو أشنع وأخطر وأفظع خطأ أصيبت به مسيرة الإسلام في العصور الحاضرة ، وهذا الخطأ الشنيع قاله رجل أعجمي ، هو لا يفهم القرآن فهماً حقيقياً ، وإنّما كان يجتهد في ذلك وكان يُفسّره بلُغته .

يُفسّر معاني القرآن العظيم ؟! لا بأس إذا كان عارفاً بأدوات التفسير مُتَمَلِّكاً لها ^(١) ، ولكنه ابتدع بدعة عظيمة ، ووقع في خطأ شنيع ، وتلقّفه رجل هنا في مصر ، ضلّ بضلاله ، ومضى معه على بدعته ، ووقع أكبر وأشنع خطأ في مسيرة الإسلام في العصر الحاضر ، وهو تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً .
ابتدعه المودودي ، وتلقّفه سيّد قطب ^(٢) ، ومُدّ الخطأ على استقامته ، وشوّهت صورة الإسلام ،

(١) الأصل في تفسير كلام الله تعالى أن يكون بالمأثور من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (مقدمة في أصول التفسير : ص : ٩٣) :

إنّ أصحّ الطرق في ذلك : أن يُفسّر القرآن بالقرآن ، فما أُجمل في مكانٍ فإنه قد فُسّر في موضعٍ آخر وما اختُصر في مكانٍ فقد بُسّط في موضعٍ آخر ، فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنّها شارحة للقرآن وموضحة له .

وقال (ص : ٩٥) : إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدركوا بذلك ؛ لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين .

وقال (ص : ١٠٢) : إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين . هـ
فإن لم يجد العالم شيئاً من ذلك فإنّ له أن يجتهد في تفسير الآيات على ضوء الكتاب والسنة ، مع كونه عالماً باللغة العربية خبيراً بأساليبها ، عالماً بقواعد الشريعة وأصولها ، يدلّ على ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى من الأمر بتدبر القرآن .

(٢) وقد تأثر سيّد قطب بفكر المودودي تأثراً بالغاً كما سيبيئه الشيخ حفظه الله تعالى ، ومن أوجه التشابه بين الرجلين غير ما ذكره الشيخ =

وفُسر القرآن العظيم بتفسير الجهال ، فقد كانا جاهلين بتفسير القرآن العظيم ، وليس لهما من الأدوات ولا من العلم ولا من القدرة العلمية ما يؤهلها لتفسير كتاب الله تبارك وتعالى .

وأدى ذلك الخطأ الشنيع إلى بُعد جميع من جاء من الأجيال المسلمة من الشبيبة المسلمة التي تطلعت إلى إقامة دين الله تبارك وتعالى ، وإلى الالتزام بالنهج الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أدى إلى بعدها عن ثرائها ، وأقبلت على تلك الكتب الفكرية ، وأخذت تنهل من ذلك المعين النجس ، ومن تلك الحمئة القدرة ، حتى وصل الناس إلى ما وصلوا إليه ، ولا يخرجون من ذلك حتى يفهموا ؛ لأنه لا بد من المراجعة للنفس ، ولا بد أن ينظر الإنسان فيما هو عليه ، ولا بد أن نعلم ماذا نقيس قبل أن نناقش كم نقيس ؟! لا بد أن نعلم ماهية ما نتعامل معه قبل أن نوصفه ، وقبل أن نعلم كم نأخذ منه وكم ندع .

فلا بد من معرفة الإسلام الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإلا فإن الخطأ ممتد على استقامته ، ولا بد أن يصلوا إلى ما وصلت إليه الأمة من ذلك الصدام الذي ضاعت فيه كل مكاسب الإسلام إلا قليلاً .

= حفظه الله تعالى : انتقاصها لأنبياء الله سبحانه وتعالى :

* قال المودودي في كتابه (تفهيمات : ص : ١٢) مُستنبطاً من قول الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ : إن هذه لم تكن مطالبة لمنصب وزير المالية فقط ، بل إنها كانت مطالبة للدكتاتورية !! ونتيجة لذلك كان وضع سيدنا يوسف عليه السلام يُشبه جداً وضع موسليني في إيطاليا الآن .هـ !! نسأل الله تعالى العفو والعافية .

* وقال سيد قطب : في كتابه (التصوير الفني في القرآن : ص : ٢٠٠) : لنأخذ موسى ، إنه مثال للزعيم المندفع العصبي المزاج .هـ وقال قبل ذلك (ص : ١٦٣) بعد عشر سنوات من هربه من مصر بقي كما هو ، لم يهدأ ولم يصر رجلاً هادئ الطبع حليم النفس ، فحين رأى الحية وثب جاريًا لا يعقب ولا يلوي ، إنه الفتى العصبي نفسه ولو أنه قد صار رجلاً .هـ نسأل الله السلامة والعافية .

ثمَّ ما يزالُ الناسُ يتخبَّطونَ ! ودينُ الله تبارك وتعالى واضحٌ ، والحجَّةُ فيه قائمةٌ ، وتلك المصطلحاتُ التي صُكَّتْ بعدُ صَكاً حتى صارتُ مما يَنعَقُ به كُلُّ ناعِقٍ في جميعِ الأرجاءِ ، هي من المُحدثاتِ والبِدَعِ التي لم يعرفها الرِّسُولُ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم ، وإنَّما رَفَعَ شِعَارَها يوماً ما الخوارجُ الذين خَرَجُوا على الأصحابِ رضوانُ الله عليهم ، ولم يَكُنْ فيهم واحدٌ من أصحابِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم ، وكَفَرُوا الأصحابَ ، وكَفَرُوا الناسَ ، بَلْ كَفَرُوا العالَمَ ، وَخَرَجُوا على الأُمَّةِ بِأَسْيافِهِمْ ، فَتَرَكُوا أَهْلَ الكُفْرِ ، وَأَعَمَّدُوا سُيُوفَهُمْ في قُلُوبِ المسلمينَ الخُلَاصِ ، وَوَقَعَ بسببِهِمْ فسادٌ عظيمٌ .

كُلُّ ذلك بسببِ أَنَّ الإنسانَ لا يُحَكِّمُ البِدَايَةَ ، وَيَنْظُرُ في تلك المصطلحاتِ الحادثةِ المبتدعةِ ، ولا يتأمَّلُ رَوافِدَها ، ولا يَعْلَمُ أينَ مَصْدَرُها .

ومصدرُ الحاكِمِيَّةِ : هو قولُ الخوارجِ الأوَّلِ : (لا حَكَمَ إلا اللهُ) لَمَّا سَمِعَها الإمامُ عليٌّ رضي اللهُ تبارك وتعالى عنه قالَ : (كلمةٌ حقٌّ أُريدَ بها باطلٌ) نعم ، لا حَكَمَ إلا اللهُ ، ولكنَّ أُريدَ بهذا الحقُّ باطلٌ ، وأدَّى إلى إشاعةِ الفوضى والفسادِ .

هُنالِكَ أمورٌ قد تَبَدُّو في حَيِّزِ النَّفْلِ أو ما دُونَهُ عندَ كثيرٍ من الناسِ ، فكثيرٌ من الناسِ يَحَسِبُ رمضانَ - مثلاً - مَجَالِسَ لِمَعْرِفَةِ بعضِ الرِّقائِقِ ، ولمَعْرِفَةِ أمورٍ هو يَعْلَمُها سَلَفًا ، ولا سَتَدْرارِ بعضِ ماءِ العُيُونِ تجري به الشُّرُوبُ ثُمَّ يَذْهَبُ ، حَتَّى إذا ما ذَهَبَ فَإِنَّهُ يَنْسَى ما قد سَمِعَ من غيرِ أَنْ يَتَحَوَّلَ عنده فِكْرٌ ، ومن غيرِ أَنْ يُفِيدَ علماً يَنْفَعُهُ اللهُ تبارك وتعالى بِهِ .

**** عود على بدء ****

نُقطة الانطلاقِ هي أَهمُّ شيءٍ ؛ لأنَّنا إِنَّمَا عَرَفْنَا الدينَ بدءًا عن طريقِ العجائزِ ، وعن طريقِ أقوامٍ لم يَتَخَصَّصُوا في العِلْمِ الشرعيِّ على النَّحوِ المَرْضِيِّ ، فَعَقَائِدُ أَكْثَرِهِمْ مُنْحَرِفَةٌ ، مِنْ الأَشْعَرِيَّةِ والاعتزالِ

وما أشبه ، أكثرهم بل جُلهم بل كُلهم ، فلم نَر منهم أحداً كان على منهاج النبوة ، فهؤلاء هم الذين علّموا العقيدة .

وكثيرٌ من المُثَقِّفين المسلمين يتوقّفون عند حُدود ما علّموا في الصّغر مما تلقّوا عن العجائز ، عن الآباء وعن الأجداد ، وعن العامّة ، ومن الفُلُكُلُور الشّعبيّ الغالب ^(١) مما تأتي به المناسبات الدينيّة ، والمسلسلات التي كانت تُذاع في رمضان وغير رمضان ! هذه حصيلة الدّين عند هؤلاء ! أمّا أنّهم يعرفون دين الله كما جاء به رسوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم فذلك شيءٌ بعيدٌ .

**** العلم الواجب معرفته على كل مسلم ****

ولا أعني بأنّهم يعرفون دين الله كما جاء به رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم أنّهم يكونون علماء ، حاشا وكلاً ، وإنّما يعرفون الأصول التي هي أصول دين الإسلام العظيم ، يعرفون ما لا يكون المسلم مُسلماً إلّا به ، يعرفون التّوحيد في جُمليته ، ويتبرّؤون من الشّرك في جُمليته وفي تفاصيله ، ويعرفون ما ينبغي أن يعرفوه من أمور العبادة علماً مُحكّماً غير مفصّل ، ولكنه مُنضبطٌ في النهاية على حُدود الكتاب والسّنة .

أين هؤلاء الذين يعلمون ذلك ؟! أكثرهم إنّما يعلمون خرافات ، وتستقرّ في قلوبهم وفي تخيلاتهم ترّهات ، ولا يعلمون حُدود ما أنزل الله على رسوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم .

(١) الفُلُكُلُور الشّعبيّ : مُصطلح مأخوذ من المصطلح الإنكليزيّ (folklo) وهذا المصطلح ابتدّعه الباحث الإنجليزيّ (وليم جون تومز) عام ١٨٤٦م ليدلّل على دراسة العادات الماثورة والآثار الشّعبيّة القديمة والمعتقدات ، والتي تشمّل كلّ ما تعلّمته الشّعوب وما اكتسبته من خبرات ذاتيّة توارثتها الأجيال ، وقد تعدّدت التعريفات والتفسيرات لهذه الكلمة حتّى خرجت عن المعنى أو المرادف الصّحيح لها ، حتّى وضع المجمع العربيّ للغة مُصطلح (الماثورات الشعبيّة) ترجمة لهذه الكلمة التي تعني باختصارٍ حكمة ومعارف الشّعوب .

**** عاقبة الجهل على صاحبه ****

إنَّ الخطأَ الأكبرَ الذي وقعَ في مسيرةِ الإسلامِ الحاضرِ هو هذا التفسيرُ الذي ابتدعه ذلك الرَّجلُ المودوديُّ ، والذي تلقَّفه منه المصريُّ سيِّدُ قُطب ، ثمَّ أشاعَه وأذاعَه ودنَّدَنَ حوْلَه ، ولم يكنْ مما ابتدَعَه أوَّلاً ، وإنَّما سار فيه على نهجِ سَلَفِه ، فتأثَّرَ به وسارَ خلفه مُتأثِّراً بخطاه ، ثم إنَّه نفخَ في تلكَ الكلمةِ ، وأخذَ يَستجلبُ لها الشَّواهدَ والأدلَّةَ ، يُخضِعُها لِفِكرَتِه إخضاعاً ، ويَحمِلُها على أن تَحَمِّلَ المرادَ الذي تصوَّره حملاً ، والنُّصوصُ نافرةٌ من هذا كُلِّه ، ولم يكنْ مُمتلِكاً لأدواتِ العِلْمِ الشرعيِّ الصَّحيحِ ، ولا مُحَكِّماً لأصولِ العقيدةِ ، بَلْ كان جاهلاً بأصولِها وفروعِها ، وإنَّما يَعْلَمُ طرفاً من هاهنا وهناك ، وخَلَطَ في معرفةِ العقيدةِ خَلْطَ قَبِيحٍ ، يَسْخَرُ منه ويضحكُ له أَقْلُ طُلابِ العِلْمِ ممن يتعلَّمون العِلْمَ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ ، ولو كانوا مِنَ الأعاجِمِ الذين لا يُحْسِنون العَرَبِيَّةَ ، فَضْلاً عن أن يُحْكِمُوها نُطقاً وأداءً .

ولكنَّ ..

هو شأنُ الخوارجِ في كُلِّ جيلٍ ، شأنُهم في كُلِّ عصرٍ ، يَسْتَخِفُّونَ النَّاسَ ، وَيَسْتَثِيرُونَ العَوَاطِفَ ، وَيُلْهَبُونَ الحِمَاسَاتِ ، ثُمَّ هُوَ القَطِيعُ ، وفلسفَةُ القَطِيعِ معلومةٌ ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا انْسَلَكَ في منظومةِ القَطِيعِ السَّائِرِ في اتِّجَاهٍ ، فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْطَى فرصةٌ لِيَتوقَّفَ لحظةً لكي يُراجِعَ نَفْسَه من أَجلٍ أَنْ يَعْلَمَ أين هو ، وإلى أين يَسيرُ ؟ لأنَّه إنْ توقَّفَ ولو للحظةٍ واحدةٍ وَطِأَتُهُ الأقدامُ حتَّى تَسْحَقَه ، فليسَ عنده فرصةٌ وقد دخلَ في القَطِيعِ أَنْ يَتوقَّفَ لِيُراجِعَ نَفْسَه ، وَلِيَنظَرَ ماذا جاءَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ تبارك وتعالى على لسانِ رَسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ المعصومِ ، من أَجلٍ أَنْ يَتَلَمَّسَ الطَّرِيقَ الصَّحيحَ من أَجلِ معرفةِ دينِ اللَّهِ ؛ لكي يَكونَ مُسْلِماً كما أَرَادَ اللَّهُ تبارك وتعالى .

وتأمل في هذا الكلام !!

**** من المناهج المنحرفة في التفسير ****

فأخطر انحرافٍ وقعَ هو تفسيرُ الإسلامِ تفسيرًا سياسيًا ، وتأويلُ رسالةِ القرآنِ وتعاليمِ الرسولِ صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم وتاريخِ الإسلامِ في ضوءِ هذا التفسيرِ ، تمامًا كما يُفسّرُ الإسلامُ ويُفسّرُ القرآنُ تفسيرًا شيوعيًا ، وقديمًا كتبَ بعضُ المخدوعين لَمَّا جاءت موجةُ الاشتراكيةِ ، وحسبَها الناسُ من صُلبِ الدينِ ، فأكثرُهم كتبَ يقولُ : (اشتراكيةُ الإسلامِ) ! وبعضُهم قالَ : إِنَّ أَوَّلَ اشتراكيٍّ في التاريخِ هو رسولُ الله صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم ! وإنَّ النبيَّ صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم سَبَقَ في الاشتراكيةِ مَارِكْسَ و إنجلز ! ^(١) وهذا أمرٌ عجيبٌ ! لأنَّ الذي يقولُ هذا إمَّا جاهلٌ لا يَعْرِفُ ولا يَدْرِي ما يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ ، ولو كَانَ كَذَلِكَ لَرَحِمَنَاهُ ، وإمَّا أَنْ يَكُونَ كَافِرًا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُهِينًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم ؛ إِذَا كَانَ يَعْرِفُ ما يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ .

فتفسيرُ الإسلامِ تفسيرًا سياسيًا لأنَّكَ تستطيعُ - أعاذُكَ اللهُ تبارَكَ وَتَعَالَى مِنْ ذَلِكَ - أَنْ تَضَعَ فِكْرَةً ، ثُمَّ تُرَشِّحَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْفِكْرَةِ ، وَأَنْ تَلْوِيَ أَعْنَاقَ النُّصُوصِ لِكِي تَنْسَاقَ وَتَنْفَادَ لِحُدُودِ تِلْكَ الْفِكْرَةِ الَّتِي قَدْ وَضَعْتَهَا قَبْلُ .

هذا كثيرٌ جدًّا في مناهجِ المفسِّرينَ المنحرفينَ ، فكثيرٌ مِنَ المفسِّرينَ يُفسِّرونَ الْقُرْآنَ تفسيرًا إشاريًا ^(٢) ،

(١) كارل ماركس وفريدريك إنجلز المُنظَّرانِ الأساسيانِ للفكر الشيوعيِّ ، ألمانيَّانِ مِنْ أَصْلِ يَهُودِيٍّ ، وُلِدَ ماركس سنة ١٨١٨ بألمانيا ، دَرَسَ القانونَ ، ثُمَّ اِهْتَمَّ بالفلسفةِ حتَّى حصلَ على الدُّكتوراةِ في الفلسفةِ سنة ١٨٤٠ ، وانتقلَ إلى فرنسا ، وفي باريس سنة ١٨٤٤ التَقَى بفريدريك إنجلز وكانَ أصغرَ منه بعَامينَ ، وبعدَ عدَّةِ جلساتٍ خرجَ الاثنانِ بنتيجةٍ أَنَّ أفكارهما مُتطابقتُ فيمَا يخصُّ الثَّوْرَةَ على النظامِ الرأسماليِّ ، فقاما معًا بنشرِ أفكارهما في الدَّعوةِ إلى الشيوعيةِ ، حتَّى أسَّسَ الشيوعيونَ سنة ١٨٤٧ عَصْبَةَ الشيوعيينَ ، وفُوضَ إليهما وضعُ مبادئِ العَصْبَةِ ، بعدَ ذلكَ عُرِفَت الشيوعيةُ في العالمِ بالمذهبِ الماركسيِّ ، الذي كانَ يدعُو في حقيقَتِهِ إلى نَبْذِ الأديانِ ، والإيمانِ بالمادَّةِ .

(٢) يَقْصِدُ الشَّيْخُ حَفْظَهُ اللهُ تَعَالَى بِالتَّفسيرِ الإشاريِّ التفسيرَ الذي عُرِفَ بِهِ الصُّوفِيَّةُ ، وَهُوَ زَعَمُهُمْ أَنَّ لِلآيَاتِ ظَاهِرًا وَباطنًا ، وَلِلْعَلَمَاءِ =

أو تفسيرًا باطنيًا ، ويُخَصَّص القرآن بآياته العظمى لهذا الذي اعتقده بدءًا ، وهو أن القرآن فيه باطنٌ وظاهرٌ
ثم يُفسَّر القرآن تفسيرًا باطنيًا ، ويُؤوِّله على حسب هواه .

= كلامٌ طويلٌ في هذا المنهج في التفسير ، يُمكنُ إجمالُه في النقاط الآتية :

* تعريفُ التفسيرِ الإشاريِّ :

فالتفسيرُ الإشاريُّ : هو تأويلُ آياتِ القرآن الكريمِ بغيرِ ظاهرٍها بمقتضى إشاراتٍ خفيةٍ .

* التفسيرُ الإشاريُّ علَمٌ على التفاسيرِ الصوفيةِ للقرآن الكريمِ :

عُرِفَ التفسيرُ الصوفيُّ بالتفسيرِ الإشاريِّ ، ويتمثَّل على زعمهم في أن يرى المفسِّرُ معنى آخرَ غيرِ المعنى الظاهرِ ، ربَّما تحتمله الآيةُ الكريمةُ
ولكنه لا يظهرُ للعامةِ من الناسِ ، وإنَّما يظهرُ لخاصَّتهم ومَن فَتَحَ اللهُ قلبَهُ وأنارَ بصيرتَهُ وسلكه ضمنَ عباده الصالحينَ ، الذين مَنَحَهُم اللهُ
الفهمَ والإدراكَ ، وهذا النوعُ مِنَ الْعِلْمِ ليسَ مِنَ الْعِلْمِ الكسبيِّ الذي يُنالُ بالبحثِ والمُذاكرةِ وإنَّما هو مِنَ الْعِلْمِ الوهبيِّ الذي هو أثرُ
الثَّقَى والاستقامةِ والصِّلَاحِ ، كما قالَ تعالى في سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ ﴾ .

والتفسيرُ الصوفيُّ يعتمدُ أساسًا على أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا ، ويُقصدُ بالظاهرِ : الشريعةُ ، وبالباطنِ : الحقيقةُ ، وعلَمُ الشريعةِ : علَمُ
المجاهدةِ ، وعلَمُ الحقيقةِ : علَمُ الهدايةِ ، وعلَمُ الشريعةِ : علَمُ الآدابِ ، وعلَمُ الحقيقةِ : علَمُ الأحوالِ ، وعلَمُ الشريعةِ يعلمُهُ علماءُ الشريعةِ
وعلَمُ الحقيقةِ يعلمُهُ العلماءُ بالله !! انظر : (المعجمُ الصوفيُّ) لمحمود عبد الرَّازِق (١١٦ - ١١٩) .

* أهمُّ التفاسيرِ الإشاريةِ عندَ الصوفيةِ :

١- تفسيرُ سهل بن عبد الله التستري ، وهو أوَّلُ تفسيرٍ صوفيٍّ ظُهِرًا .

٢- تفسيرُ السُّلَميِّ المسمَّى : حقائقُ التفسيرِ .

٣- تفسيرُ عبد الكريمِ القشيريِّ المسمَّى : لطائفُ الإشاراتِ .

٤- تفسيرُ الكاشانيِّ السمرقنديِّ ، وقد نُسبَ هذا التفسيرُ إلى إمامهم الأكبر ابنِ عربيِّ .

* التفسيرُ الإشاريُّ منه ما هو مقبولٌ ، ومنه ما هو مردودٌ :

ليسَ كُلُّ ما نُسبَ إلى التفسيرِ الإشاريِّ فإنَّه باطلٌ محضٌ ، بل الإشاراتُ والاعتباراتُ مثلُ القياسِ في الفقهِ ، منه ما هو صحيحٌ ، ومنه ما هو
باطلٌ ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ تعالى في (مجموع الفتاوى ٣٧٧ / ٦) : فإنَّ إشاراتِ المشايخِ الصوفيةِ ، التي يُشيرونَ بها تنقسمُ
إلى إشارةٍ حاليةٍ : وهي إشارتهم بالقلوبِ ، وذلك هو الذي امتازوا به ، وليسَ هذا موضعه .

وتنقسمُ إلى الإشاراتِ المتعلقةِ بالأقوالِ : مثلُ ما يأخذونها مِنَ الْقُرْآنِ ونحوه ، فتلِكَ الإشاراتُ هي مِن بابِ الاعتبارِ والقياسِ وإلحاقِ =

= ما ليس بمنصوصٍ بالمنصوصِ مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام ، لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك :

❖ فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح ؛ كانت حسنة مقبولة .

❖ وإن كانت كالقياس الضعيف ؛ كان لها حكمه .

❖ وإن كان تحريفاً للكلام على غير تأويله ؛ كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية ، فتدبر هذا ١.هـ

* شروط قبول التفسير الإشاري :

ذكر العلماء رحمهم الله تعالى عدة شروط لقبول التفسير الإشاري ، أجملها ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (التبيان في أقسام القرآن : ص : ٧٤) فقال : وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول :

❖ تفسير على اللفظ : وهو الذي ينحو إليه المتأخرون . ❖ وتفسير على المعنى : وهو الذي يذكره السلف .

❖ وتفسير على الإشارة والقياس : وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم ، وهذا لا بأس به بأربعة شرائط :

١- أن لا يناقض معنى الآية . ٢- وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه .

٣- وأن يكون في اللفظ إشعاراً به . ٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم .

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً ١.هـ

فالتفسير الإشاري لا يقبل إلا إذا توفرت فيه هذه الشروط :

١- أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربية ، فإن كل معنى مستنبط غير جارٍ على لسان العرب فليس هو من التفسير في شيء ، وذلك أن القرآن عربي ؛ ولو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربياً بإطلاق ؛ ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن ليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه ، وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب إليه أصلاً ؛ إذ ليست نسبته إليه على أن مدلوله أولى من نسبة ضده إليه ولا مرجح يدل على أحدهما ، فإثبات أحدهما تحكّم وتقوّل على القرآن ظاهر ، وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم .

٢- أن يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض ؛ لأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن والدعوى المجردة غير مقبولة باتفاق العلماء .

وهذان الشرطان ذكرهما الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه الموافقات (٤ / ٢٣١ - ٢٣٢) .

٣- أن لا يكون تأويلاً سخيلاً بعيداً عن معنى الآية ، كتفسير بعضهم قوله تعالى في آخر سورة العنكبوت : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ =

حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى خُطَا ابْنِ عَرَبٍ الزَّنْدِيقِ الْحُلُولِيَّ الْإِتِّحَادِيَّ يَقُولُ : إِنَّ فِرْعَوْنَ هُوَ سَيِّدُ الْأَوَّلِيَاءِ وَكَبِيرُهُمْ ! وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ! إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْخِرَافَاتِ ؛ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِالْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ ، وَأَنَّ اللَّهَ - كَمَا يُؤْمِنُ هُوَ ! - قَدْ حَلَّ فِي فِرْعَوْنَ فَقَالَ : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ وَقَالَ : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ وَأَنَّهُ إِنَّمَا عَرَفَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ ، وَلَمْ يَعْرِفْهَا سِوَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ مِنَ النَّاجِينَ مِنَ النَّارِ بَلْ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ !! وَيُرِيدُ أَنْ يُخْضَعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ لِمِثْلِ هَذَا الْهَرَاءِ .

= حَيْثُ جَعَلَ كَلِمَةً ﴿ لَمَعَ ﴾ فِعْلًا مَاضِيًّا بِمَعْنَى : أَضَاءَ ، وَكَلِمَةً ﴿ الْحَسَنِينَ ﴾ مَفْعُولًا لَهُ !!

٤- أَنْ لَا يَدَّعِي أَنَّهُ الْمَرَادُ وَحْدَهُ الظَّاهِرُ ؛ لَكِي يَتَمَيَّزَ عَنِ التَّفْسِيرِ الْبَاطِنِيِّ الْمَلْحَدِ الَّذِي يَمْنَعُ إِرَادَةَ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ ، وَيَتَمَسَّكُ بِالْمَعْنَى الْبَاطِنِ وَحْدَهُ . مِثْلُ : تَأْوِيلُهُمْ لِلْحَجِّ بِزِيَارَةِ الْإِمَامِ .

رَاجِعْ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فِي : (مَنَاهِلُ الْعِرْفَانِ لِلزَّرْقَانِي : ١ / ٥٤٩) .

* مِثَالٌ عَلَى التَّفْسِيرِ الْإِشَارِيِّ الصَّحِيحِ :

مِنْ أَشْهُرِ الْأَمْثَلَةِ عَلَى التَّفْسِيرِ الْإِشَارِيِّ عِنْدَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : مَا وَرَدَ مِنْ تَفْسِيرِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لِسُورَةِ النَّصْرِ ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ (٤٢٩٤) وَ (٤٩٧٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحٍ بَدْرٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلُهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ مَنَّمَنَ قَدْ عَلِمْتُمْ . فِدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ ، قَالَ : وَمَا أُرَيْتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مَنِّي ، فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ ﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نَصَرَنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نَدْرِي ، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا . فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، أَكْذَلِكَ تَقُولُ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَمَا تَقُولُ ؟ قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ فَتَحْ مَكَّةَ ، فَذَاكَ عِلَامَةُ أَجَلِكَ ﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ . قَالَ عُمَرُ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَبَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي (الْفَتْحِ : ٨ / ٧٨٣) : وَفِيهِ جَوَازُ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِمَا يُفْهَمُ مِنَ الْإِشَارَاتِ ، وَإِنَّمَا يَتِمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ رَسَخَتْ قَدْمُهُ فِي الْعِلْمِ ، وَلِهَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : أَوْ فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ ١. هـ

* لِلْإِسْتِزَادَةِ : رَاجِعْ كِتَابَ (التَّفْسِيرِ الْإِشَارِيِّ : دِرَاسَةٌ وَتَقْوِيمٌ) لِعُمَرَ سَالِمِ الْخَطِيبِ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ رِسَالَةٌ مَاجِسْتِيرَ تَقَدَّمَ بِهَا مَوْلُفُهَا إِلَى جَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودٍ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ فِي جَامِعَةِ الْإِمَامِ فَقَطْ ، وَمُحْفَوظَةٌ فِي مَكْتَبَةِ الْمَلِكِ فَهْدِ الْوُطْنِيَّةِ ، وَيُمْكِنُ تَصْوِيرُهَا .

فهذا يسيّر على كل من أضله الله تبارك وتعالى غير عسير، فأهل الضلال يضعون فكرة، ثم يرشحون القرآن بآياته من تلك الفكرة، فلا بد أن تمر جميع الآيات على تلك الفكرة؛ لكي تصبغ بتلك الفكرة، ثم يصير عندك بعد تفسير القرآن العظيم: تفسير سياسي، تفسير إشاري، تفسير باطني، إلى غير ذلك من التفسير^(١).

(١) المناهج المنحرفة في تفسير القرآن كثيرة، وكلها من التفسير بالرأي المذموم، وهو التفسير بمجرد الرأي والهوى، غير مُستند إلى نصوص الشريعة، وأكثر من وقع في ذلك هم أهل البدع والمذاهب الباطلة، وسبب انجرافهم في ذلك قاعدتهم الباطلة: اعتقدتم استبدل، وهي مناقضة لقاعدة أهل السنة وهي الاعتقاد على ضوء النصوص، فهؤلاء المنحرفون اعتقدوا معتقدات باطلة وآراء زائفة، ثم ذهبوا يستدلون عليها من النصوص، فلم تطاوعهم، فأخذوا يلوون أعناق النصوص ويحملونها ما لا تحتمل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في (مجموع الفتاوى: ٣٥٨/١٣): إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المفسرين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم. هـ

ومن المناهج المنحرفة في التفسير:

* التفسير الجهمي والمعتزلي:

وهم الذين يُعطّلون صفات الله تعالى بزعم أن إثباتها تشبيه للخالق بال مخلوق، والقاعدة عند أهل السنة في ذلك: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فيثبتون لله تعالى من الأساء والصفات ما أثبتته لنفسه سبحانه وما أثبت له رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وينفون ما نفاه سبحانه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وما سكّته عنه لا يتكلمون فيه بإثبات ولا نفي. ❖ من أمثلة التفسير الجهمي والمعتزلي: تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَنِّي﴾ قالوا: المراد باليدين القدرة، أو النعمة، ولا يمكن إثبات اليدين لله تعالى؛ لأنه يُفْضَى إلى التشبيه.

❖ الجواب عن ذلك: أمّا التشبيه فلا يلزم على القاعدة السابقة.

وأما قولهم: معناه القدرة، فلا فضل لآدم عليه السلام في ذلك، فالخلق كله بقدره الله تعالى، فيكون الكلام لغواً، ولو كان المعنى كذلك لجاز لإبليس أن يقول: وأنا خلقتني بقدرتك. هذا من وجه، ووجه آخر: أن القدرة صفة لا يمكن أن تُثنى، فلا يقال: قدرة وقدرة. وقولهم: معناه النعمة، فالجواب عنه كذلك من الوجهين السابقين.

* التفسير الباطني:

وهو زعمهم أن للنصوص ظاهراً يعلمه العامة، وباطناً لا يعلمه إلا خواص من كبارهم، وأن المعنى الباطن هو المراد

**** نتيجة هذا التفسير المنحرف على المجتمعات الإسلامية ****

فأكبر خطأ وقع هو تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً ، وتأويل رسالة القرآن وتعاليم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتاريخ الإسلام في ضوء هذا التفسير ، الذي نجم عنه ، وظهر عنه ، ونتج عنه قيام حركات دينية سياسية متطرفة ، تعمل ضد الأنظمة السياسية القائمة ، إسلامية كانت أو غير

= وأما الظاهرُ فغيرُ مُرادٍ ، وهذا الانحرافُ وقعت فيه طوائفُ مختلفةٌ ، كغلاة الصوفية ، والروافض .

❖ فمن تفسير غلاة الصوفية : تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ ﴾ قالوا : الظاهر كما فهم العامة ، لكن معناه المراد على الحقيقة هو : أنه ما يذهب من هذا العالم قطب من الأقطاب وولي من الأولياء ، إلا أبدلنا منه قطباً وولياً آخر يتولى شؤون الكون !!

❖ ومن تفسير الروافض : قولهم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۚ ﴾ قالوا : المراد بالبقرة عائشة . ونحن أهل السنة نقول كما قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ فهي أمنا أم المؤمنين الحصان الرزان المبرأة من فوق سبع سماوات ، وهي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نتقرب إلى الله تعالى بحبها ، وإننا نريد هؤلاء أن يطعنوا فيها وفي غيرها من الصحابة لأنهم نقلوا الدين الصحيح ، فهم يريدون بالظن فيهم هدم الدين ، ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۖ ﴾ .

وأما الجواب عن مثل هذه التفاسير فيسير ، فإنها مع كونها لم يرد فيها شيء من النصوص ولا من أقوال السلف ، هي مناقضة للنصوص ، ومعانٍ لا تحتلها الآيات من حيث اللغة ، فبطلانها واضح لكل ذي عينين .

*** تفسير الآيات على ضوء الإعجاز العلمي :**

وهذا المنهج قد كثر في هذا العصر بعد ظهور الاكتشافات الحديثة ، وليس كله مردوداً ، وليس كله مقبولاً كذلك ، بل فيه ما هو صحيح ، وفيه ما هو خلاف ذلك ، ثم إن تنزيل الآيات على الاكتشافات البشرية لابد فيه من ضوابط معينة ، لأن كثيراً من الاكتشافات التي يقال بها يأتي فيها بعد ما يُناقضها ، فإن قيل إن الآية تُشير إلى كذا مما اكتشفه البشر بالتجارب ، ثم تبين بعد بطلان ذلك الاكتشاف ، نُزل حكم البطلان على الآية ، وإن الباطل هو تنزيل الآية على الاكتشاف الأول .

من أمثلة ذلك : قول بعضهم في قول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ۗ ﴾ قال : في الآية إشارة إلى علاج العمى وذلك أن القميص علق فيه شيء من عرق يوسف عليه السلام ، فهذا دليل على أن في العرق مادة تُساعد في علاج العمى ، ثم تبين بعد بطلان هذا الكلام . فتكلم حينئذ من تكلم على كتاب الله تعالى ، وكتاب الله تعالى بريء من ذلك كله .

إسلامية ، بدعوى إقامة الحكومة الإلهية ، و وصل الأمر إلى الخطورة القصوى ، إذ إنَّ الشباب المسلم في الوطن العربي وفي خارجِه بدأ يتأثر بهذه التفسير السياسية المتطرفة ، فيؤدِّي دورَ المواجهة السياسية ليتحطَّم على صخرتها بدون فائدة ، مُتوهِّماً أنه قد أدَّى دورَ الجهاد في سبيلِ الله ، وفي سبيلِ الإسلام العظيم .

لا حرج ، إنَّهم يُريدون أن يُجاهدوا في سبيلِ الله ، فليفتعلوا ميداناً يقولون : هو ميدانُ الجهاد في سبيلِ الله ، بلا ضابط ولا رابط ، وليتخذوا من الأدوات يزعمون ذلك جهاداً في سبيلِ الله من أجل أن يؤدُّوا بتلك الأدوات وظيفة الجهاد في سبيلِ الله .

هذه الظاهرة السائدة في كلِّ مكان تقريباً تُقدِّم أسوأ نتيجة للتفسير السياسي لرسالة القرآن ، والحقيقة أنه ليست هنالك مصداقية شرعية ولا عقلية لمثل هذه التفسير ، فهي قد نَجَمَتْ عن تأويل خاطئ لرسالة القرآن العظيم ، وتطبيق خاطئ لها ، وسوء فهم للتاريخ الإنساني والإسلامي ، والانخداع بسراب الأمان .

**** بداية ظهور التفسير السياسي .. ومعالمة ****

والسؤال الآن : كيف نشأ هذا التفسير السياسي الخاطئ لرسالة الإسلام ؟ في الجواب عن هذا السؤال البداية لتصحيح مسار الوعي للعمل برسالة القرآن العظيم .

بداية ظهور التفسير السياسي : كانت مع أبي الأعلى المودودي الذي وُلِدَ في العام الثالث بعد المئة التاسعة وألف (١٩٠٣) ، المتوفى سنة تسع وسبعين وتسعمئة وألف (١٩٧٩) ، قدَّم تصوُّراً في إحدى المحاضرات التي ألقاها في مدينة (لاهور) سنة تسع وثلاثين وتسعمئة وألف (١٩٣٩) حول ما سمَّاه : (نظرية الإسلام السياسية) فطُبِعَتْ من تلك المحاضرة عشرات الألوف من النسخ باللغة الأردية ،

وُترجمت إلى اللُّغة الإنكليزيَّة ، ثمَّ إلى كثيرٍ من اللُّغات الهنديَّة ، وظهرت التَّرجمة العربيَّة لأوَّل مرَّة سنة ستٍّ وأربعين وتسعمئة وألف (١٩٤٦) في (لاهور) ، ومن هناك وُزعت في البلاد العربيَّة ، وظهرت الطَّبعة الثَّانية لها في القاهرة سنة خمسين وتسعمئة وألف (١٩٥٠) .

وفي هذه المحاضرة أشار المودوديُّ إلى معالم النَّظريَّة السِّياسِيَّة في الإسلام كما فهمه ، والتي ارتكزت على تفسيره لمعاني الإله والرَّبِّ بالمعنى السِّياسيِّ ! وأنَّ مهمَّة الرُّسل الحقيقيَّة هي دعوة الناس إلى النِّظام الإلهيِّ ! هذا هو معنى التَّوحيد عند المودوديِّ ، الذي وقَّف عليه الرُّسل حياتهم - كما يزعم - وهو جوهرُ النزاع - كما يقول - بين النُّمرود وبين نبيِّ الله إبراهيم عليه السَّلام !

أشار المودوديُّ إلى أنَّ النُّمرود لم يكن مُنكراً لله أو لربوبية الله ، ولكنَّ كان مُنكراً لتطبيق شريعته التي سوف تفرِّض عليه التَّنازل عن سُلطانه الأرضيِّ ، فمن يَرفض الحكم بما أنزل الله إنَّما يَرفض ألوهية الله ، فجعل أساس دعوتهم للتَّوحيد في هذه الدُّنيا - يعني : الرُّسل - أن يقيموا الدَّولة الإلهيَّة ، وهو الأمر الذي ليس عليه دليلٌ في الكتاب ولا في السُّنة .

إنَّ المودوديَّ أخضع القرآن العظيم وتعاليم الرُّسول وسيرته صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم لفكرة الحاكميَّة لدرجة أنه قدَّم تفسيراً جديداً للإسلام أساسه الدَّعوة إلى الانقلاب السِّياسيِّ ، وقال : هي مهمَّة الرُّسل . فمهمَّة الرُّسل - كما يدَّعي - هي إحداث الانقلاب السِّياسيِّ في كلِّ قوم أُرسل فيهم رسولٌ . قال : لم يكن بينهم خلافٌ في وجود الله ، وفي أنه خلق الخلق ، وبيده ملكوت كلِّ شيء ، فمن الظَّاهر أنَّ الرُّسل ما جاؤوا ليدعوهم إلى تلك العقيدة التي كانوا يعتقدونها ، ويعترفون بها !^(١)

(١) وكان من آثار هذه النظريَّة المنحرفة تشكُّل الجماعة الإسلاميَّة بالقارة الهنديَّة للدَّعوة إلى أفكار صاحبها ، فقد تشكَّلت الجماعة الإسلاميَّة بالقارة الهنديَّة على يد زعيمها أبي الأعلى المودوديِّ في أغسطس عام ١٩٤١ ميلادي وذلك بهدف إقامة حكومة إسلاميَّة ، على أساس من الثَّورات والانقلابات ، ولهذا يقول أبو الأعلى المودوديُّ في كتابه (تذكرة دعاة الإسلام : ص : ٥٠) مبيناً أصلاً أصيلاً =

**** موقف سيد قطب من هذا التفسير ****

وعندما تُرجمت أعمال المودودي إلى اللغة العربية ، خاصةً (نظرية الإسلام السياسي) و (الجهاد في سبيل الله) وكتابه (المصطلحات الأربعة) قام الكاتب والناقد الأدبي ! سيد قطب بتبني هذا التفسير السياسي والدعوة إليه في تفسيره المشهور (في ظلال القرآن) في الطبعة الثانية منه . الذي

= من أصول دعوته التي قامت عليها جماعته : دعوتنا لجميع أهل الأرض أن يُعيدوا انقلاباً عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي استبدت به الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الأرض فساداً ، وأن ينتزعوا هذه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدينون دين الحق ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً . هـ فهذه كما ترى دعوة صريحة للخروج على الحكام ، مع تكفيره إياهم ، وهذا أصل دين الخوارج ، وهذا كما سيأتي مما كان يدعو إليه سيد قطب الذي تبنى أفكار المودودي المنحرفة ، ودعا إليها .

*** علاقة الجماعة الإسلامية بالقارة الهندية بحركة الإخوان المسلمين في مصر :**

ولهذه الجماعة علاقة وثيقة بحركة الإخوان المسلمين التي قامت في مصر ، فالأهداف واحدة ، والوسائل إلى تلك الأهداف كذلك ، يقول أليف الدين الترابي في كتابه في سيرة المودودي (ص : ٢٠٨) مبيناً العلاقة بين الحركتين تحت عنوان (دار العروة للإسلامية) : وقد أقيمت هذه الدار لنقل كتب الجماعة الإسلامية إلى اللغة العربية ، ولترجمة كتب الإخوان المسلمين من اللغة العربية إلى اللغة الأردية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تعمل هذه الدار كالواسطة بين الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين والحركات الإسلامية الأخرى في العالم العربي ، فتمكنت هذه الدار من نقل كثير من الكتب للأستاذ المودودي إلى اللغة العربية ، كما تمكنت من ترجمة كثير من الكتب للإمام الشهيد حسن البنا ، والشهيد سيد قطب ، والأستاذ محمد قطب وغيرهم من قادة الحركة الإسلامية في العالم العربي من اللغة العربية إلى اللغة الأردية * ولهذا كان من سمات دعوة هذه الجماعة كما في المصدر السابق (ص : ١٧٩) :

السمة الثامنة لهذه الدعوة : هي تجنب الوقوع في الخلافات الفرعية بين المسلمين كانت فقهية أو عقدية . هـ فالخلافات العقدية في نظر الجماعة خلافات فرعية !! ولهذا كانت الجماعة ولا زالت تضم تحت لوائها طوائف مختلفة حتى أدخلت طوائف من غلاة الصوفية في الهند كالبريلوية والديوبندية وغيرها ، كما ذكر في المصدر السابق ، وهذا مبني على قاعدة الإخوان المسلمين : نجتمع فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه !!

ولهذا أيضاً ترى المودودي من المؤيدين للثورة الرافضية في إيران حيث يقول : وثورة الخميني ثورة إسلامية !! والقائمون عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية ، وعلى جميع المسلمين عامة !! والحركات الإسلامية خاصة !! أن تؤيد =

يَمْتَلِكُ الطَّبْعَةُ الْأُولَى مِنْ (ظِلَالِ الْقُرْآنِ) لَا يَجِدُ أَثَرًا لِنَظَرِيَّةِ الْحَاكِمِيَّةِ فِيهِ ، وَإِنَّمَا ظَهَرَتْ نَظَرِيَّةُ الْحَاكِمِيَّةِ فِي الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ (ظِلَالِ الْقُرْآنِ) لَمْ يَكُنْ عَلَى بَالِ الرَّجُلِ هَذَا الْمِرَاءُ ، وَإِنَّمَا تَلَقَّفَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمُبْتَدِعِ الضَّالِّ ، فَسَارَ خَلْفَهُ ، وَنَهَجَ نَهَجَهُ ، وَنَسَجَ عَلَى مَنَوَالِهِ ، وَشَحَنَ (الظَّلَالِ) وَ (المَعَالِمِ)^(١) بهذه النَّظَرِيَّةِ الْمُبْتَدَعَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وهذا شاهدٌ من أهلها ، الكاتبُ الصَّحَافِيُّ - وهو مبتدعٌ أيضًا - فَهَمِي هُوَيْدِي ، يَقُولُ : وَنَحْنُ لَا نَكَادُ نَعُثِرُ عَلَى إِشَارَاتٍ لِمَعْنَى الْحَاكِمِيَّةِ أَوْ لِلْفُظْهَاتِ فِي الْكُتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُبَكَّرَةِ لِلْأَسْتَاذِ سَيِّدِ قُطْبٍ ، وَطَبَقًا لِمَا هُوَ مُتَأَخِّرٌ مِنْ مَصَادِرَ بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَإِنَّ أَوَّلَ ظُهُورٍ لِفِكْرَةِ الْحَاكِمِيَّةِ فِي كُتُبِهِ كَانَ فِي تَفْسِيرِهِ لِلْقُرْآنِ الْمَعْرُوفِ بِ (الظَّلَالِ) الَّذِي صَدَرَ بَعْدَ مِحْنَةِ اعْتِقَالِهِ الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَتِسْعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ (١٩٥٤)

= هذه الثَّوْرَةُ كُلُّ التَّائِيْدِ ، وَتَتَعَاوَنَ مَعَهَا فِي جَمِيعِ الْمَجَالَاتِ ١. هـ انظر : (الشَّقِيقَانِ الْمُدَوْدِيُّ وَالْحَمِينِيُّ : ص : ٣) نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ .

(١) يَقُولُ سَيِّدُ قُطْبٍ فِي كِتَابِهِ (مَعَالِمُ فِي الطَّرِيقِ) تَحْتَ عُنْوَانِ (طَبِيعَةُ الْمَنْهَجِ الْقُرْآنِيِّ) :

لَقَدْ شَاءَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى !! أَنْ تَكُونَ قَضِيَّةُ الْعَقِيدَةِ هِيَ الْقَضِيَّةُ الَّتِي تَتَصَدَّى لَهَا الدَّعْوَةُ مِنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ لِلرَّسَالَةِ ، وَأَنْ يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَى خُطَوَاتِهِ فِي الدَّعْوَةِ بِدَعْوَةِ النَّاسِ أَنْ يَشْهَدُوا : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَمْضِيَ فِي دَعْوَتِهِ يُعْرِفُ النَّاسَ بِرَبِّهِمُ الْحَقِّ ، وَيُعَبِّدَهُمْ لَهُ دُونَ سِوَاهُ . وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ - فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ - فِي نَظَرَةِ الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ الْمَحْجُوبِ - هِيَ أَيْسَرُ السَّبِيلِ إِلَى قُلُوبِ الْعَرَبِ ، فَلَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ مِنْ لُغَتِهِمْ مَعْنَى (إِلَه) وَمَعْنَى : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) . كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ تَعْنِي : الْحَاكِمِيَّةَ الْعُلْيَا !! وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ وَإِفْرَادَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ بِهَا مَعْنَاهُ : نَزْعُ السُّلْطَانِ الَّذِي يُزَاوِلُهُ الْكُفَّانُ وَمَشِخَةُ الْقِبَائِلِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْحُكَّامِ ، وَرُدُّهُ كُلَّهُ إِلَى اللَّهِ !! السُّلْطَانُ عَلَى الضَّبَائِرِ ، وَالسُّلْطَانُ عَلَى الشَّعَائِرِ ، وَالسُّلْطَانُ عَلَى وَاقَعِيَّاتِ الْحَيَاةِ ، وَالسُّلْطَانُ فِي الْمَالِ ، وَالسُّلْطَانُ فِي الْقَضَاءِ ، وَالسُّلْطَانُ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ .. كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ثَوْرَةٌ عَلَى السُّلْطَانِ الْأَرْضِيِّ الَّذِي يَغْتَصِبُ أَوَّلَى خَصَائِصِ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَثَوْرَةٌ عَلَى الْأَوْضَاعِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى قَاعِدَةٍ مِنْ هَذَا الْاِغْتِصَابِ ، وَخُرُوجٌ عَلَى السُّلْطَانِ الَّتِي تَحْكُمُ بِشَرِيعَةٍ مِنْ عِنْدِهَا لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ .. وَلَمْ يَكُنْ يَغِيبُ عَنِ الْعَرَبِ وَهُمْ يَعْرِفُونَ لُغَتَهُمْ جَيِّدًا وَيَعْرِفُونَ الْمَدْلُولَ الْحَقِيقِيَّ لِدَعْوَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مَاذَا تَعْنِي هَذِهِ الدَّعْوَةُ بِالنِّسْبَةِ لِأَوْضَاعِهِمْ وَرِيَاسَاتِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ ، وَمِنْ نَمَّ اسْتَقْبَلُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ أَوْ هَذِهِ الثَّوْرَةَ !! ذَلِكَ لِاسْتِقْبَالِ الْعَنِيفِ ، وَحَارِبُوهَا هَذِهِ الْحَرْبُ الَّتِي يَعْرِفُهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ١. هـ

وهذا الفصلُ كما أَشَارَ فِي مَقْدَمَتِهِ مَنْقُولٌ مِنْ تَفْسِيرِهِ (فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ) مِنْ فَصْلِ التَّعْرِيفِ بِسُورَةِ الْأَنْعَامِ ، مَعَ سِيرِ تَصَرُّفٍ .

إِذْ نَجِدُهُ يَقُولُ فِي تَعْقِيْبِهِ عَلَى الْآيَةِ : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يَقُولُ : إِنَّ الَّذِي لَا يَحْكُمُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ إِنَّمَا يَرْفُضُ الْوَهْيَةَ اللَّهَ ، فَالْأُلُوْهِيَّةُ مِنْ خَصَائِصِهَا وَمِنْ مُقْتَضَاهَا : الْحَاكِمِيَّةُ التَّشْرِيعِيَّةُ .

فابْتَدَأَتْ نَظْرِيَّةُ الْحَاكِمِيَّةِ الْقَانُونِيَّةِ !! وَادَّعَوْا أَنَّهَا هِيَ دَعْوَةُ الْمُرْسَلِينَ !! وَأَنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَجْلِ الْحُكْمِ بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ لَا أَكْثَرَ ، لَمْ يُرْسَلْهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى خَلْعِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالبُعْدِ عَنِ الشِّرْكِ ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ ، مَعَ أَنَّهُ - كَمَا سَيَأْتِي - لَيْسَ عِنْدَنَا دَلِيلٌ لَا فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ عِنْدَهُ أَحْكَامٌ يَدْعُو النُّمْرُودَ إِلَيْهَا ، لَمْ يَأْتِ بِقَوَانِينٍ تَشْرِيعِيَّةٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَإِنَّمَا دَعَا النُّمْرُودَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ ، وَإِذَا كَانَ النُّمْرُودُ يَقُولُ : إِنَّهُ إِلَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَإِذَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَقُولُ : إِنَّهُ هُوَ الرَّبُّ وَلَا يَعْلَمُ لَهُمْ مِنْ رَبِّ سِوَاهُ ، فَكَيْفَ يَدْعُوهُ وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ الرَّبُّ إِلَى الْحُكْمِ بِمَا أَنزَلَ الرَّبُّ ؟!! هُوَ يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يُطَلَّقَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَنْ يَعُودَ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِخَلْعِ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَبِتَرْكِ هَذَا الشِّرْكِ الَّذِي قَدْ أَحَاطَ بِأَقْطَارِ قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ وَعَقْلِهِ ، وَالْعَوْدَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ ، فَجَمِيعُ الْمُرْسَلِينَ إِنَّمَا دَعَوْا الْخَلْقَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

وَلَكِنْ جَاءَ هَؤُلَاءِ فَبَدَّدُوا طَاقَةَ الْأُمَّةِ وَأَدْخَلُوهَا فِي الصَّرَاعِ .

**** علاقة سيد قطب بالثورة المصرية ****

مَعَ أَنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ سَيِّدَ قُطْبٍ هُوَ مِنْ أَكْبَرِ عَوَامِلِ قِيَامِ الثَّوْرَةِ الْمِصْرِيَّةِ^(١)

(١) الدَّعْوَةُ إِلَى الثَّوْرَاتِ وَالْإِنْقِلَابَاتِ مِنْ أَهَمِّ نَتَائِجِ هَذَا التَّفْسِيرِ السِّيَاسِيِّ لِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ ، وَسَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا مَا قَالَهُ الْمُوْدُوْدِيُّ فِي بَيَانِهِ =

.....

= لأصولِ دعوته القائمة على الثورة ، وكذلك يقول سيّد قطب الذي تبنّى هذا التفسير السياسيّ ودعا إليه ، يقول في تفسيره المشهور (في ظلال القرآن : ١٤٥ / ٣) : وهذه المهمةُ مهمّةُ إحداثِ انقلابٍ إسلاميٍّ !! عامٌّ غيرُ مُنحصرٍ في قُطرٍ دون قُطرٍ ، بل ممّا يريدُه الإسلامُ ويضعُه نُصبَ عينيه أن يحدث هذا الانقلابُ الشّامِلُ في جميعِ أنحاءِ المعمورة ، هذه غايتهُ العُلْيَا !! ومَقصدهُ الأَسْمَى !! الذي يطمحُ إليه بِبَصَرِهِ ، إلاّ أنّه لا مندوحةَ للمسلمينَ أو أعضاءِ الحزبِ الإسلاميّ عن الشُّروعِ في مهمّتهم بإحداثِ الانقلابِ المنشودِ ، والسَّعيِّ وراءَ تغييرِ نُظمِ الحكمِ في بلادهم التي يسكنونها .

أمّا عن دوره في الثورة المصريّة ، فيقول فضيلةُ الشّيخِ علي بنُ يحيى الحدّاديّ حفظه الله تعالى في كتابه القيمِ (صفحاتُ مهمّةٍ من حياة سيّد قطب : ص : ٢١) :

* دوره في الانقلاب الذي أدّى إلى إلغائِ المِلَكِيّة وقيامِ الجمهوريّة :

كان يُشاعُ عن سيّد قطب أنّه أديبٌ أحبّ الإسلامَ بعد أن كان مُلحدًا أو قريبًا من الإلحادِ ، فلما عَرَفَ الإسلامَ أحبه وكتبَ عنه ، ودعا الناسَ إليه ، فلماذا تُهاجمونَ هذا الرّجلَ المسكينَ ؟

وحيثُ قرأتُ كتابَ الخالدي - المسمّى : سيّد قطب من الميلادِ إلى الاستشهادِ ، وصفحاته تُربو على المئة السّادسة !! - رأيتُ أنّ سيّد قطب ليس مُجرّدَ أديبٍ مسكينٍ ، ولكنّه أحدُ حملةِ رايةِ الإصلاحِ على منهجِ الخوارج ، شاركَ بقلبه وفكره في إسقاطِ الحكمِ الذي أدركَ البلادَ عليه ، وجعلَ من بيته مقرًّا للضُّبَّاطِ الذين أطاحوا بِمَلِكِهِمْ ، يَعْقِدُونَ فيه المؤامراتِ السّريّةَ في جُنجِ الظّلامِ ، كان زعيمًا يُصدِرُ الأوامرَ فتُطاعُ ، وحيثُ تَمَّتِ الثّورةُ كان أحدَ رجالِ مجلسِ قيادةِ الثّورة .

فسيّد ثائرٌ ، يدعو إلى الثّوراتِ ، وطبّقَ ما يدعو إليه فقام بالثّورة في بلده ، وصدّرها إلى خارجِ بلاده ، ورُبِّي أُلوفٌ مؤلّفةٌ من شبابِ الأُمّةِ على فكره - على أنه يُمثّلُ الإسلامَ ، ظلماً وزُوراً - ولو كان لهم عقولٌ واعيةٌ لتأمّلوا عاقبةَ المنهجِ الثّوريِّ في الإصلاحِ ، حيثُ كان رائده في هذا العصر - سيّد قطب - أولَ ضحاياهِ ، إضافةً إلى أنه لم يُحقّقِ الهدفَ المنشودَ من ورائهِ ، وصدّقَ اللهُ حيثُ يقولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، وحيثُ يقولُ تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

بعد هذه المقدّمة إليك مُلخّصًا مما أرّخه الخالديّ في كتابه عن دوره في (ثورة الأحرار) : قال ما مُلخّصُهُ :

بدأ تخطيطُ الإخوانِ المسلمينَ للثّورة على المِلَكِيّة في الأربعيناتِ ، وكان الضُّبَّاطُ الإخوانُ المعنيونَ يقرؤونَ كثيرًا من مقالاتِ سيّد قطب ، وبعضُ كُتبه المشهورة آنذاك ككتابِ (العَدالةُ الاجتماعيّةُ) ، ولذلك فقد شبّه بعضهم سيّد قطب بالفرنسيّ الشّهيرِ (ميرابو) الذي كان له دورٌ كبيرٌ في التمهيدِ للثّورة الفرنسيّة ، فأطلقوا عليه (ميرابو الثّورة المصريّة) .

لم يقتصرِ دورُ سيّد على تأثيره الفكريّ من خلالِ كُتبه ومقالاته بل جعلَ من بيته مُنتدًى سريًّا لقادةِ الثّورة ، يقولُ سُلَيْمانُ فياضٌ مُتحدّثًا عن =

= زيارته لسيد في حديقة منزله : سألته عن رأيه في هذه الثورة؟

ابتسم ، وقال لي : هنا تحت هذه الشجرة كان الضباط الأحرار يعقدون بعض اجتماعاتهم معي في فترة التحضير للثورة . ثم دخل بيته وعاد يحمل مظروفاً ، أخرج منه صوراً وأخذ يريها لي واحدة واحدة ، وكان هو في كل صورة وتحت هذه الشجرة ، وكانت كلها صوراً ليلية أخذت في ضوء الفلاش ، وفي كل صورته كان هؤلاء الضباط الأحرار وهو بينهم أبداً واسطة العقد .

ويقول محمود العزب : إن رائدنا وأستاذنا سيد قطب هو الذي رعى الثورة جنيئاً فوليداً وأمرنا أن نستعد لها . إن الجيش لا يمكن أن ينسى أن سيد قطب هو أبو الثورة ، وأبو الثوار ، وتواضعه يزيدنا تعلقاً به ، وإكباراً له .

ثم قال : قبيل الثورة بأيام تلقينا من الأستاذ قطب أمراً بأن نكون على استعداد ، وكنت على رأس تنظيم الإخوان المسلمين في بور سعيد ، ولما تلقيت الأمر حضرت إلى القاهرة ، ومضيت إلى منزل الأستاذ سيد قطب ، وكان في يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢ م وكان لديه بعض قادة الثورة منهم البكباشي جمال عبد الناصر ، وذكر لي الأستاذ سيد أن أكون أنا ومن معي على أهبة الاستعداد ، وأن يكون الإخوان المسلمون المدنيون على استعداد أيضاً ، فإذا سمعنا بقيام الثورة كنا حماتها ، وحفظة الأمن في بور سعيد ، وحذراً من سفك الدماء .

* لمحات عن بعض جهود ومكانة سيد قطب عقب الثورة :

قال عبد الغفور عطار الأديب المعروف وأحد المقربين من سيد قطب : كان هو - أي : سيد قطب - المدني الوحيد الذي يحضر جلسات مجلس قادة الثورة ، وكانوا - أي : أعضاء المجلس - يترددون على منزله في حلوان .

وقال عادل حمودة : الذين عاصروا تفاصيل الأيام للثورة يؤكدون أن سيد قطب كان له مكتب في مبنى مجلس قيادة الثورة ، وأنه كان يقم هناك إقامة شبه دائمة .

وقال سيد قطب عن نفسه : استغرقت في العمل مع رجال الثورة ٢٣ يوليو حتى فبراير شباط ١٩٥٣ م عندما بدأ تفكيري وتفكيرهم يفرق حول هيئة التحرير ، ومنهج تكوينها . وقال : كنت أعمل أكثر من ثنتي عشرة ساعة يومياً قريباً من رجال الثورة ، معهم ومع من يحيط بهم . وبعد شهر من نجاح الثورة المصرية أعد رجالها حفلاً تكريمياً لسيد قطب على مستوى رفيع في نادي الضباط في الزمالك ، وكان تحت رعاية رئيس الجمهورية محمد نجيب ، لكنه اعتذر عن الحضور وأتاب عنه جمال عبد الناصر ، ولم يكتف بذلك بل أرسل برسالة حملها أنور السادات ، وتليت على الحاضرين . ثم قام سيد وألقى كلمته وأعلن فيها تخوفه حتى بعد الثورة من السجن وما هو أشد من السجن ، فقال جمال بصوته الجمهوري ما نصه : أخي الكبير سيد ، والله لن يصلوا إليك إلا على أجسادنا جثثاً هامدة ، ونعاهدك باسم الله ، بل نجدد عهدنا لك أن نكون فداءك حتى الموت .

لم يدم الصفاء بين عبد الناصر والإخوان ، بل انقلب عليهم وحاول سيد أن يصلح بين الفريقين لكن دون جدوى .

وهو يقول : إِنَّهَا هي التي أَفْسَدَتِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وهي التي أَغْرَقَتِ الْمَجْتَمَعَ فِي الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَالْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ .

هو أكبرُ عواملِ قيامِ الثَّوْرَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، حَتَّى إِنَّهُ يُلقَّبُ بـ (مِيرَابُو الثَّوْرَةِ الْمِصْرِيَّةِ) كَالْكَاتِبِ السِّيَاسِيِّ وَالشَّاعِرِ الْفَرَنْسِيِّ وهو اسْمُهُ : مِيرَابُو (مِيرَابُو الثَّوْرَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ) ^(١) وهذا (مِيرَابُو الثَّوْرَةِ الْمِصْرِيَّةِ) هو (عَرَّابِ الثَّوْرَةِ الْمِصْرِيَّةِ) .

الضُّبَّاطُ الْأَحْرَارُ عِنْدَمَا قَامُوا بِالثَّوْرَةِ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الثَّكْنَاتِ ، وَالَّذِي تَصَدَّى لَهُمْ ، وَكَانَ قَرِيبًا جَدًّا مَعَهُمْ ، كَانَ يَبِيتُ مَعَهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ، وَكَانَ مِنْ أَصْدِقَائِهِمُ الْمُقَرَّبِينَ ، الَّذِي تَصَدَّى لِعُودَةِ هَؤُلَاءِ إِلَى الثَّكْنَاتِ ، وَعُودَةِ الْحُكْمِ إِلَى الْمَدَنِيِّينَ هُوَ .

= وبعدَ ذلك انضَمَّ سَيِّدُ قُطْبٍ إِلَى الْإِخْوَانِ رَسْمِيًّا فِي مَارَسِ ١٩٥٣ وَعِنْدَ ذَلِكَ بَدَأَ فِي مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُ تِلَامِذَةِ مَنْهَجِهِ مَرَحَلَةَ (الْإِسْلَامِيَّاتِ الْحَرَكِيَّةِ) وَالَّذِي يُمَثِّلُ فِي نَظَرِهِمُ النَّظَرَةَ الصَّحِيحَةَ لِلْإِسْلَامِ فَمَاذَا فَعَلَ فِيهَا ؟

تَوَلَّى سَيِّدُ قُطْبِ أُمُورَ الثَّقَافَةِ وَالنَّشْرِ فِي الْجَمَاعَةِ ، فَأَشْرَفَ عَلَى إِصْدَارِ جَرِيدَةِ الْإِخْوَانِ ، وَكَانَ يَلْقِي حَدِيثَ الثَّلَاثَةِ ، وَانْتَدَبَ إِلَى سُورِيَا وَالْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ مُثَلًّا لِلْجَمَاعَةِ .

وَقِيلَ : إِنَّ سَيِّدَ كَانَ عَضْوًا فِي التَّنْظِيمِ السَّرِيِّ لِلْإِخْوَانِ ، وَأَنَّهُ أَوْقَفَ الْجَرِيدَةَ الْعَلَنِيَّةَ ، وَبَدَأَ ضِدَّ حُكُومَةِ الثَّوْرَةِ (حَرْبِ الْمَنْشُورَاتِ السَّرِيَّةِ) ، وَنُسِبَ لَهُ الْإِشْرَافُ عَلَى النَّشْرِ الَّتِي كَانَ يُصْدِرُهَا التَّنْظِيمُ السَّرِيُّ (الْإِخْوَانُ فِي الْمَعْرَكَةِ) وَالتِّي كَانَ سَيِّدٌ يَفْضَحُ فِيهَا عَبْدَ النَّاصِرِ ، وَيَذْكُرُ عَمَلَاتِهِ لِلْأَمْرِيكَانِ وَلِلْيَهُودِ . قَالَ الْخَالِدِيُّ عَنْ هَذِهِ التُّهْمَةِ : نَسَكْتُ عَلَيْهَا وَتَوَقَّفْتُ فِيهَا ، لِأَنَّا لَا نَمْلِكُ أَدَوَاتٍ يَقِينَةً لِلْحُكْمِ لَهَا أَوْ عَلَيْهَا . قُلْتُ : لَيْسَ فِي مَنْهَجِ سَيِّدٍ وَلَا نَظَرَتِهِ لِلدَّعْوَةِ الْحَرَكِيَّةِ مَا يَأْبَاهَا ، فَهِيَ تَسِيرُ عَلَى الْخَطِّ نَفْسِهِ (السَّرِيَّةِ ، الطَّعْنُ فِي النِّظَامِ الْحَاكِمِ) بِدَعْوَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ . هَذَا كَلَامُ الْحَدَّادِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) هُوَ الْكُونْتُ أُوْتُورِي جَابْرِيلُ فَيَكْتُورِيكْتِي (مِيرَابُو) ، سِيَاسِيٌّ فَرَنْسِيٌّ وَخَطِيبٌ ثَوْرِيٌّ ، اشتهر بدفاعه المستميت عن حقوق الشعب ، وُلِدَ عَامَ ١٧٤٩ ، التَّحَقَّ بِالْمَدْرَسَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي بَارِيسِ عَامَ ١٧٦٧ ، تَوَلَّى عَامَ ١٧٨٩ مِ رِئَاسَةَ نَادِي الْيَعَاقِبَةِ ، الَّذِي كَانَ يُشَكِّلُ مَجْمُوعَةً قَوِيَّةً مِنْ الزُّعَمَاءِ السِّيَاسِيِّينَ الْفَرَنْسِيِّينَ . انْتُخِبَ قَبْلَ ذَلِكَ نَائِبًا عَنْ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ ، وَهِيَ طَبَقَةُ الشَّعْبِ .

بعدَ انْدِلَاعِ الثَّوْرَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ صَارَ مِيرَابُو خَطِيبًا مَفُوهً ، وَكَانَ يَدْعُو إِلَى قِيَامِ مَلَكِيَّةٍ دُسْتُورِيَّةٍ ، تَوَلَّى مِيرَابُو عَامَ ١٧٩١ مِ رِئَاسَةَ الْجُمُعِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ =

**** نظرية المستبد العادل !! ****

ونادى بنظرية من أغرب النظريات ، فسيّد قطب هو صاحبُ نظرية (المستبدُّ العادل)^(١) ومن العجيب أن الذي ردَّ على سيّد قطب في نظرية (المستبدُّ العادل) رجلٌ كان خليعاً مُتهتِكاً ، لا يُعرف عنه إلا كلُّ ما يسوء مما يقتل الأخلاق ولا يحدُّشها : إحسان عبد القدوس ، هو الذي تصدَّى لسيّد قطب وردَّ عليه ، قال : لا يمكن أن يوجد في العالم مُستبدُّ عادلٌ ؛ لأنه إذا كان مُستبدّاً فلا يمكن أن يكون عادلاً ، وإذا كان عادلاً فلا يمكن أن يكون مُستبدّاً .

فهو الذي قال : لا ترجعوا إلى الشُّكَنات ، وينبغي عليكم أن تحكموا المجتمعَ بقبضةٍ من حديدٍ ، لا ترجعوا . فظلُّوا ، وكانوا يريدون من يقول هذا الكلام ، فبقوا في أماكنهم .

**** فكرة نزع الملكيات الكبيرة وتفتيتها ****

كثيرٌ من الناس لا يعلم أن صاحبَ فكرة نزع الملكيات الكبيرة مع تفتيتها بعد ذلك على من لا يستحق فيها

= وهو منصبٌ كان سيِّمكته من تحقيق منافع كثيرة ، بيد أنه عاش حياةً ماجنةً حتَّى انهارت صحته ، وتوفي بعد ثلاثة أشهر ، ناطقاً بالكلمات التالية : أحولُ معي إلى القبر انهبأر الملكيّة .

(١) ذكر الدكتور محمد عفيفي أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة في كتابه (المستبدُّ العادل : دراسة في الزعامة العربيّة في القرن العشرين) أن أوّل من تبنّى هذه النظرية ودعا إليها هو (الإمام !!) محمد عبده ، خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وقدم أفكارها لأول مرة بشكل واضح في مقال له بعنوان : (إننا ينهض بالشرق مُستبدُّ عادل) نُشرت بمجلة الجامعة العثمانية في شهر مايو سنة ١٨٩٩ قصد به الردّ على من يقولون بأن صلاح الشرق إنّما هو في الأخذ بالحياة النيابية ، وابتدأ المقال بقوله : هل يُعَدُّم الشرقُ كلّهُ مُستبدّاً من أهله ، عادلاً في قومه ، يتمكن به العدل أن يصنع في خمس عشرة سنة ما لا يصنع العقل وحده في خمسة عشر قرناً ؟

ويذكر الدكتور كذلك في كتابه أن الرئيس المصري جمال عبد الناصر كان تلميذاً مُخلصاً لهذه النظرية .

شَبْرًا هو سَيِّد قُطْب ، سَيِّد قُطْب هو الذي أَوْحَى إِلَيْهِمْ بِمُحَارَبَةِ مَا سَمَّاهُ بِالْإِقْطَاعِ ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تُنَزَعَ جَمِيعُ الْمُلْكِيَّاتِ ، فَتُزَعَتْ ، وَتَفْتَتِ الثَّرَوَاتُ ، وَانْقَلَبَ الْمَجْتَمَعُ رَأْسًا عَلَى عَقَبِ فِي التَّرَكِيبَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ^(١) .

الإِسْلَامُ يُسَوِّي بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ فِي الْمِيزَاتِ ، فَلَيْسَ عَالَمٌ كَجَهْلُولٍ ، وَلَيْسَ بَاذِلٌ كَمُمْسِكٍ ، وَلَيْسَ شُجَاعٌ كَجَبَانٍ ، وَلَيْسَ صَنَاعٌ كَأَخْرَقٍ ^(٢) ، هَذَا عِبَثٌ !! فَالْإِسْلَامُ لَا يُسَوِّي بَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، لَا .

فِي الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ كُلُّهُمْ عِيْدُ اللَّهِ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَفْخَرَ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَكِنْ لِلْعَالَمِ مَكَانُهُ ، وَكَذَلِكَ لِلْجَوَادِ مَكَانُهُ ، وَلِلشُّجَاعِ مَكَانُهُ ، وَلَا بَدَّ مِنْ اعْتِبَارِ الْمِيزَاتِ وَالْفُرُوقِ الْفَرْدِيَّةِ .

دُمِّرَتِ هَذِهِ الْفُرُوقُ تَدْمِيرًا كَامِلًا فِي الْمَجْتَمَعِ ، وَصَارَ السُّفْلَةُ يَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ آتَاهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) كَانَ سَيِّد قُطْب مِنْ الدُّعَاةِ إِلَى الْإِشْتِرَاكِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ !! وَيَرَى أَنَّ الْحَلَّ لَيْسَ فِي الشُّيُوعِيَّةِ وَلَا فِي الرَّأْسَالِيَّةِ بَلْ فِي الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ مَزِيحٌ مِنْ كِلْتَا النَّظَرِيَّتَيْنِ !! يَقُولُ فِي كِتَابِهِ (الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالرَّأْسَالِيَّةِ ص : ٦١) : وَلَا بَدَّ لِلْإِسْلَامِ أَنْ يَحْكُمَ لِأَنَّهُ الْعَقِيدَةُ الْوَحِيدَةُ الْإِيجَابِيَّةُ الْإِنْشَائِيَّةُ الَّتِي تَصُوغُ مِنَ الْمَسِيحِيَّةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ مَعًا مَزِيحًا كَامِلًا !! يَتَضَمَّنُ أَهْدَافَهُمَا جَمِيعًا !! وَيَزِيدُ عَلَيْهِمَا التَّوَازُنَ وَالتَّنَاسُقَ وَالْإِعْتِدَالَ . هـ

وَقَدْ سُئِلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْكَلَامِ فَقَالَ : نَقُولُ لَهُ : إِنَّ الْمَسِيحِيَّةَ دِينٌ مُبَدَّلٌ مُغَيَّرٌ مِنْ جِهَةِ أَحْبَارِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ ، وَالشُّيُوعِيَّةُ دِينٌ بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ فِي الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَالَّذِينَ الْإِسْلَامِيُّ دِينٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِهِ لَمْ يُبَدَّلْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْإِسْلَامَ مَزِيحٌ مِنْ هَذَا وَهَذَا فَهُوَ إِمَّا جَاهِلٌ بِالْإِسْلَامِ ، وَإِمَّا مَغْرُورٌ بِمَا عَلَيْهِ الْأُمَمُ الْكَافِرَةُ مِنَ النَّصَارَى وَالشُّيُوعِيِّينَ . هـ انْظُرْ : كِتَابُ الْعَوَاصِمِ لِلشَّيْخِ رَبِيعِ بْنِ هَادِي الْمُدَحْلِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى (ص : ٢٢) .

وَكَانَ مِنْ نَتَائِجِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ قَوْلُهُ بَنَزَعَ الْمُلْكِيَّاتِ الْكَبِيرَةَ وَتَفْتِيتُهَا ، قَالَ فِي كِتَابِهِ السَّابِقِ (ص : ٤٣) : وَفِي يَدِ الدَّوْلَةِ أَنْ تُنَزَعَ مِنَ الْمُلْكِيَّاتِ وَأَنْ تَأْخُذَ مِنَ الثَّرَوَاتِ - بِنِسْبٍ مُعَيَّنَةٍ - كُلَّ مَا تَجِدُهُ ضَرُورِيًّا لِتَعْدِيلِ أَوْضَاعِ الْمَجْتَمَعِ . هـ

وَيَقُولُ كَذَلِكَ (ص : ٤٤) : بَلْ فِي يَدِ الدَّوْلَةِ أَنْ تُنَزَعَ الْمُلْكِيَّاتِ وَالثَّرَوَاتِ جَمِيعًا ، وَتُعَيَّدَ تَوَازُنُهَا عَلَى أَسَاسٍ جَدِيدٍ - وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْمُلْكِيَّاتُ قَدْ قَامَتْ عَلَى الْأُسُسِ الَّتِي يَعْتَرِفُ بِهَا الْإِسْلَامُ ، وَنَمَتْ بِالْوَسَائِلِ الَّتِي يُبْرِّرُهَا !! - لِأَنَّ دَفْعَ الضَّرَرِ عَنِ الْمَجْتَمَعِ كُلِّهِ ، أَوْ اتِّقَاءَ الْأَضْرَارِ الْمَتَوَقَّعَةِ لِهَذَا الْمَجْتَمَعِ أَوَّلَى بِالرَّعَايَةِ مِنْ حُقُوقِ الْأَفْرَادِ . هـ

(٢) أَيُّ : لَيْسَ مَنْ يُجِيدُ صَنْعَةً أَوْ مِهْنَةً أَوْ حِرْفَةً ، كَأَخْرَقٍ لَا يُجِيدُ عَمَلًا .

مما رَفَعَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ عَلَى أَنَّهُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، انْقَلَبَ الْمُجْتَمَعُ رَأْسًا عَلَى عَقِبِ سَبَبِهِ ، وَبَسَبِ أَفْكَارِهِ ، ثُمَّ لَمَّا تَطَلَّعَ إِلَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ كُرْسِيِّ وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ فَمَنْعُوهُ ، انْقَلَبَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أُوْذِيَ بِسَبَبِهِمْ ، وَقَدَّرَ اللهُ عَلَيْهِ مَا قَدَّرَ مِنَ الْإِيْذَاءِ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ غَضَبًا ، وَهُوَ مُحَدِّثٌ عَلَى دِينِ اللهِ فِي فَهْمِهِ وَالتَّعَامُلِ مَعَهُ .

**** تَلْمِيزُ الْعَقَادِ ****

هَذَا رَجُلٌ كَانَ تَلْمِيزًا لِلْعَقَادِ ، يَفْخَرُ بِأَنَّهُ تَلْمِيزٌ لِلْعَقَادِ ، وَيَقُولُ فِي كُلِّ مَكَانٍ : تَلْمِيزُ الْعَقَادِ . وَمِنْ أَقْوَالِهِ الْمَأْثُورَةِ الْمَعْرُوفَةِ : لَقَدْ قَرَأْتُ فِي الدِّينِ وَفِي اللُّغَةِ وَفِي الْفَلَسَفَةِ وَفِي الْمَنْطِقِ وَفِي الْبَيْطَرَةِ وَفِي الْبِيزَرَةِ وَفِي الزَّرَاعَةِ وَفِي الصَّنَاعَةِ وَفِي الْفَلَكِ مَا شَاءَ اللهُ لَكِي أَفْهَمَ الْعَقَادَ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَصِلْ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَ .

الْعَقَادِ !! تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَقْرَأَ هَذَا كُلَّهُ لَكِي تَفْهَمَهُ ؟ !! إِذَنْ هُوَ رَدِيءٌ ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَشَيْءٍ يَعْلُوهُمَا فِي سُمُوِّهِمَا ، وَفِي عُمُقِهَا ، وَفِي طَهَارَتِهِمَا ، وَفِي تَأْصِيلِهِمَا لِقِيَمِ الْحَيَاةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ نَحْنُ نَقْرَأُ كَلَامَ اللهِ وَنَفْهَمُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَنَقْرَأُ كَلَامَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَفْهَمُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَإِذَا كُنَّا نَقْرَأُ كَلَامَ الْعَقَادِ الْمُبْتَدِعِ الضَّالِّ وَلَا نَفْهَمُهُ فَهُوَ كَلَامٌ رَدِيءٌ .

لأنه هو الذي خَرَقَ لَهُ الْخَرَقَ ، وَفَتَقَ لَهُ الْفَتَقَ فِي شَتَمِ الْأَصْحَابِ وَسَبِّهِمْ^(١) ، وَاقْرَأْ كُتُبَ الْعَقَادِ : (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) ، (مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ) ، (أَبُو الشُّهَدَاءِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ) ، وَلِذَلِكَ لَمَّا

(١) يَكْفِيكَ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْعَقَادَ أَلْفَ كِتَابِهِ (مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ) لَيْسَ تَرْجَمُهُ لَسِيرَةِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ الَّذِي هُوَ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنْ كِتَابَةِ الْوَحْيِ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، بَلْ كَمَا قَالَ هَذَا الْعَقَادُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ (ص : ١٢) : زُبْدَةُ الصَّفَحَاتِ التَّالِيَةِ أَنَّ رَأْسَ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ كَانَ رَجُلًا قَدِيرًا ، وَلَمْ يَكُنْ بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ !! ثُمَّ يَقُولُ : فَرَبَّنَا وَصَفَ الرَّجُلُ بِالْقُدْرَةِ لِأَنَّهُ مُقْتَدِرٌ عَلَى بُلُوغِ مَقَاصِدِهِ ، وَاحْتِجَانِ مَنَافِعِهِ ، وَالْإِضْرَارِ بغيرِهِ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا وَصِفَ بِالْعَظَمَةِ فَإِنَّهَا يُوصَفُ بِهَا لِفَضْلِ يُقَاسُ بِالْمَقَايِسِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامَّةِ !! هـ =

مَاتَ نَاحَتْ عَلَيْهِ الرَّوَافِضُ ، وَلَمْ يَأْسَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ ، وَغَيَّرَ فِي الْمَجْتَمَعِ مَا غَيَّرَ مَعَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُعْتَبَرُونَ رَادَّتَهُ وَهُمْ مِنَ الْفَسَقَةِ الْمُنْحَرِفِينَ ، الَّذِينَ غَيَّرُوا تَرَكِييَةَ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَصْرِيِّ الْفَكْرِيَّةَ ، فَفَتَحَ عَلَى الْعَرَبِ بَصَافَاتَهُ ، وَبِجَمِيعِ مَبَازِلِهِ ، وَصَارَ النَّاسُ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، إِذَا قِيلَ لَهُمْ : ارْجِعُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ . لَا يَعْرِفُونَ كِتَابَ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَيْهِ .

**** إِلَى كُلِّ قَاطِبِي ****

هَذَا الرَّجُلُ مُنْبَعُ ضَلَالٍ كَبِيرٍ ، وَلَا يَهْوَلَنَّكَ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ أحيانًا يُزَكِّمُ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ ، فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَلَا تُطَالِبْكَ بِبُغْضِ أَحَدٍ ، وَلَا بِأَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ مَوْقِفًا ، أَنَا أَدْعُو الْقَاطِبِيِّينَ فِي مِشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا لَا إِلَى تَطْلِيْقِهِ طَلَاَقَ الْبَتَّةِ ، وَلَا إِلَى حَرْبِهِ وَمُعَادَاتِهِ ، لَا ، وَإِنَّمَا أَدْعُوهُمْ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ ، وَالنَّظَرِ بِالتَّجَرُّدِ فِي آثَارِهِ وَفِي مَا تَرَكَ مِنْ تَرَاثٍ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، تَأَمَّلُوا فِي هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي تَرَكَه هَذَا

= فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الْخَبِيثَ لَمْ يَدْعُ لِمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَيْئًا مِنَ الْفَضْلِ وَلَا مِنَ الْفَضِيلَةِ !!

ثُمَّ يَقُولُ الْمَجْرُمُ فِي آخِرِ كِتَابِهِ بَعْدَ جَوْلَتِهِ الْمَشْهُومَةِ فِي فَصْلِ بَعْنَوَانٍ (فِي الْمِيزَانِ !! ص : ١٢٤) : مِنْ هَؤُلَاءِ أَنَا فِي طَبَقَةِ ابْنِ خُلْدُونٍ يَضَعُ مُعَاوِيَةَ فِي مِيزَانِهِ فَيَكَاذُ بِحُسْبِهِ بَقِيَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَيَتَمَحَّلُ الْمَعَاذِيرَ لَهُ فِي إِسْنَادِ وَلَايَةِ الْعَهْدِ إِلَيْهِ ، مَعَ فُسُوقِهِ !! وَخَلَلِ سِيَاسَتِهِ !! وَكَرَاهَةِ النَّاسِ لِحُكْمِهِ ، حَتَّى مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهِ !! هـ .

هَكَذَا وَبِكُلِّ وَقَاحَةٍ يَصِفُ صَحَابِيًّا جَلِيلًا مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ !! بِالْفُسُوقِ فِي الدِّينِ وَخَلَلِ السِّيَاسَةِ فِي الْحُكْمِ ، فَلَمْ يَتْرِكْ لَهُ دِينًا وَلَا دُنْيَا . فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ .

هَكَذَا قَالَ الْأَسْتَاذُ ، فَمَاذَا قَالَ التَّلْمِيزُ فِي حَقِّ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ؟ يَقُولُ سَيِّدُ قُطْبٍ فِي كِتَابِ (كُتُبُ وَشَخْصِيَّاتٍ : ص : ٢٠٦) : وَحِينَ يَرْكَنُ مُعَاوِيَةُ وَزَمِيلُهُ - يَعْنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - إِلَى الْكَذِبِ وَالْغِشِّ وَالْخَدِيعَةِ وَالنِّفَاقِ وَالرَّشْوَةِ وَشِرَاءِ الدِّمَمِ ، لَا يَمْلِكُ عَلَيَّ أَنْ يَتَدَلَّى إِلَى هَذَا الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ ١ هـ . يَقُولُ الشَّيْخُ الْحَدَّادِيُّ حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَعْقِيًّا عَلَى هَذِهِ الْبِدْءَةِ : فَهَذِهِ سِتُّ صِفَاتٍ مِنْ أَحَبِّ الصِّفَاتِ وَأَقْبَحِهَا يَصِفُ بِهَا سَيِّدُ اثْنَيْنِ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ وَخِيَارِهِمْ وَأَهْلِ الشَّانِ فِيهِمْ ١ هـ . (صَفَحَاتُ مَهْمَةٍ : ص : ٦٠) .

الرَّجُل ، اَعْرِضُوهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، وَاَجْعَلُوا اَلْسِنَتَكُمْ وِرَاءَ قُلُوبِكُمْ ، وَلَا تَجْعَلُوا قُلُوبَكُمْ وِرَاءَ اَلْسِنَتِكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، وَتَأَمَّلُوا فِيهِ عَارِضِينَ اِيَّاهُ كَمَا هِيَ قَاعِدَةُ الْمُسْلِمِ ، لَا اَقُولُ مِنْ اَهْلِ السُّنَّةِ ، الْمُسْلِمِ الَّذِي يَصْدُقُ عَلَيْهِ وَصْفُ الْإِسْلَامِ ، يَعْرِضُ كُلَّ كَلَامٍ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا وَافَقَ قُبُلَ ، وَمَا خَالَفَ طُرُحَ وَلَا كَرَامَةَ .

نَحْنُ لَا نَدْعُو إِلَى بُغْضِ أَحَدٍ ، وَلَا إِلَى مَعَادَاةٍ ، وَلَا إِلَى تَمْزِيقِ ثَرَاثِهِ ، وَلَا شَيْءٍ ، فَلَتَبْقُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ ، وَلَكِنْ .. انْظُرُوا فِي هَذَا الثَّرَاثِ ، وَاعْرِضُوهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَكَفَى خِدَاعًا ، لَا تَكُونُوا إِمَّعَاتٍ ، خَدَعُكُمْ مَنْ خَدَعَكُمْ .

نَعُودُ إِلَى مَا بَدَأْنَا بِهِ : وَإِنَّمَا غَرَّهِمْ مَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ لِلْإِسْلَامِ ، أَوْ مَنْ يُحْسِنُونَ بِهِ الظَّنَّ ، أَوْ مَنْ يَفْهَمُونَهُ ؛ لِأَنَّهُمْ رُبَّمَا قَرَّوُوا فِي كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلَمْ يَفْهَمُوا ، وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ وَقْتُ أَصْلًا لِلنَّظَرِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا عِنْدَ حُدُودِ مَعْرِفَةِ الْعِلْمِ الْفَرَضِيِّ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَعْلَمُوا عِلْمَ الْكِفَايَةِ ، وَلَا يَلْزَمُهُمْ .

تَعَلَّمُوا عِلْمَ الْفَرَضِ ، وَاضْرِبُوا فِي سُبُلِ الْحَيَاةِ ، لِتَرْقِيَةَ الْحَيَاةِ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ ، لَا يَلْزَمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا ، هَلْ يَصِيرُ كُلُّ مُسْلِمٍ عَالِمًا ؟! هَذَا ضِدُّ سُنَّةِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ وَفِي خَلْقِهِ ، لَا بَدَّ مِنْ عَالِمٍ وَجَاهِلٍ ، وَلَكِنْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنَ الْعِلْمِ مَا هُوَ فَرَضٌ عَيْنٍ عَلَيْهِ ، تَعَلَّمُوا ، وَاعْرِضُوا عَلَيْهِ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي تَحَرَّمُونَهُ وَتُقَدِّرُونَهُ ، وَنَحْنُ لَا نَقُولُ لَكُمْ احْتَقِرُوهُ ، وَلَا أَهْمِلُوهُ ، وَلَكِنْ اعْرِضُوهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَتَّقُوا اللَّهَ ، أَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ ، فَأَنْتُمْ عَلَى طَرِيقِ الصَّلَاةِ وَعَلَى سُبُلِهَا ، أَتَّقُوا اللَّهَ ، أَنْتُمْ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ شُعَبِ الْخَوَارِجِ ، عُودُوا إِلَى اللَّهِ ، وَأَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ ، وَفِي أُمَمَتِكُمْ .

أَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالْحَقِّ ، اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا
وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ ، اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ^(١) .



(١) كَانَ الْفَرَاغُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى هَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ النَّافِعَةِ فِي الدَّفَاقِقِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْعَامِ الْمَهْجَرِيِّ ١٤٣٠ قُبَيْلَ مَغْرِبِ يَوْمِ الْخَمِيسِ ٣٠ مِنْ شَهْرِ
ذِي الْحِجَّةِ الْمُحَرَّمِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ، نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَيَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا ، وَيَزِيدَنَا عِلْمًا ، وَصَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .